الجزء التاسع والعاشر ٢٠٤، ٢٠٣، ٢ المجلد السابع عشر



ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٢ شعبان ورمضان سنة ١٣٦١

في سبيل العربية (١)

من أعظم نعم المدنية الحديثة هذه الآلة التي اطلقنا عليها اسم المذياع ، واطلق عليها العالم اسم الراديو . فقد اصبحنا بعد انتظام امرها نلجأ اليها في كل ما حزبنا من مهم ، ونتخذ منها اداة دعاية في معظم الشؤون البشرية ، ولا يمضي زمن قليل بعد الحرب الحاضرة حتى يصبح المذياع مدرسة مجهزة بأحسن جهاز ، يتلقى منها المستمعات والمستمعون دروس العلم والتهذيب كاملة ، كأنهم في حضرة مدرسة ذات طبقات ثلاث في التعليم يأخذ طالب الاستفادة في كل طبقة ما شاء له غرامه على ايسر حال . ولا شك ان من نعم المذياع على اللغة ان يوحد في المستقبل لهجات البلاد العربية ويقربها من الفصحى ، كما كان لانتشار الصحف ونشر التعليم الابتدائي أثر عظيم في تهذيب لغة التخاطب والتكاتب بهذه اللغة المحبوبة .

ومن اجل هذا عمدت الى المذياع احمله جواب اسئلة ثلاثة ، وجهت اليّ كما وجهت الى غيري ، وقد قصد بها سائلها وهو صاحب مجلة (الحديث) الحلبية خدمة الافكار الصحيحة ونشرها على الملأ ، قال وله الشكر على اقتراحه المفيد : ماهي الكتب التي قرأتموها قراءة كاملة وأفادتكم في ثقافتكم الادبية ؟ وهل تنصحون الأديب الناشئ ان يقرأ الكتب القديمة اولاً ثم الكتب الحديثة ام بالعكس ؟ وما هو الكتاب العربي الوحيد الذي تنصحون الناشئين بتلاوته وباعادة تلاوته أكثر من مرة . وأنا اقول في جوابه ، وأرجو أن اكون اصبت شاكلة الصواب فيه ،

(١) حديث ألقي في محطة الاذاعة بدمشق .

ومعظمه مما املته التجارب الشخصية ، وللبحث الخاص اثر بالغ في نفس السامع ، وهل كان العلم قبل ان يقيد في الصحف والاسفار الا تحليلاً وتركيباً قام به أفراد ، فلما دوّن تلقفه الجماعات وصار يطلق عليه اسم العلم .

أقول من الصعب ان اضع احصاء مدققاً في الكتب العربية التي اتممت قراءتها كلها او قرأتها مرات ، وربما كانت الكتب التي قرأتها بالفرنسية والتركية قد وسعت أفق تفكيري ، وافادتني في الثقافة العربية نفسها فعلمتني سذاجة التعبير . قرأت القرآن الكريم على وجوه كثيرة فكنت تارة أتدبره لأرى ما فيه من بلاغة اللفظ والتركيب وجلال المعنى والمبنى ، وطوراً كنت أرتله لآخذ منه الأحكام بهذا الإيجاز وهذا الإعجاز ، وآونة كنت اتصفحه لأدون ما فيه من مواعظ وزواجر ، وحيناً كنت اطالعه لاتفهم قصص الأنبياء والاحداث التاريخية التي سبقت الاسلام ، ومرة أطيل النظر فيه لارى كيف يحاجه للمشركين والمنافقين ؛ وأنظر في براهينه الدامغة على صدق صاحب الدعوة ويسر دينه ، وحرصه على توحيد الخالق وتوحيد صفوف الخلائق ، ومرة اقلبه لأرى فيه الالفاظ السريانية والنبطية والعبرانية والحبشية والقبطية من اخوات العربية ، وأقع على المفردات اليونانية والفارسية وغيرها من اللغات الآرية مما اندمج في العربية كما اندمجت في لغة قريش بواسطة القرآن بعض مفردات خاصة بالقبائل كهذيل وأزد شنؤة وعُمان وتَميم وكِندة وكِنانة وطيّ وجُرهُم وحِمير وحَضرَموْت وبني حنيفة ولَخم وغسان وثَقيف وقيس عيلان ومَدْيَن ومُذْحِج وسَعد العشيرة وجُذام والأشعريين واليمن وسبأ وعُذرة وأنمار وهمذان والأوس والخزرج . وكلما قرأته على الوجه الذي اختاره اطيل التفكير في اسلوبه الرائع وفي اسلوب الفصحاء والبلغاء بعده ، وفي طراز عصره في الاداء وبما كان يستعمل فيه من الفاظ عند من انزل اليهم ولا نكاد نفهمه نحن ابناء هذه اللغة التي نتعلمها بالجهد في الدرس والحفظ .

وجملة الأمر فقد تدبرت القرآن كثيراً ولا ازال كل سنة اغتبط بقراءته دفعة واحدة على الأقل ، واستمع لبعض آياته دفعة او دفعتين في اليوم بلسان المذياع المفيد ؛ عدا سماعي له في الصلوات . فتظهر لي كل نوبة دقائق ما خطرت ببالي

آنفاً ، وتنكشف لي حقائق مطربة عجيبة ، ولا عجب فالقرآن كما قالوا لا تفنى عجائبه .

ولا اكتمكم يا سيداتي ويا ساداتي ان حسرة في قلبي لا أبرح أحسها وهي أني لم أوفق الى استظهار الكتاب العزيز برمته أولّ حياتي ، وندمت ان شغلت نفسي بمحفوظات من الأدب شوهت ملكتي لأول نشأتي . واني لاعتقد ان المصريين ما تفوقوا ببلاغتهم على سائر الشعوب العربية إلا لأن اكثر الخاصة يحفظون القرآن ، وناهيك بأمة يستظهر قبطيها هذا الكتاب الكريم كفعل أسرتي عبيد ودُوس المحترمتين وغيرهما من غير المسلمين، يحفظه ابناؤهم التماساً لبلاغته، واسترشاداً بأحكامه . وما كان بعض ادباء لبنان وعلمائها في اواخر المئة الثالثة عشرة واوائل المئة الرابعة عشرة على عِرْقٍ من الفصاحة والبلاغة في ألسنتهم وأقلامهم الا لأنهم حفظوا القرآن واستشهدوا به في خطبهم ومقالاتهم . ولعله لا يقل من يستمعون الى القرآن في المذياع كل يوم من غير المسلمين عن مواطنيهم العرب من المسلمين ، يعجبون بنغمه وموسيقاه وبيلاغته ورنته وبما يحدث من تأثير في نفس سامعه ، مهما كانت نحلته ، ويتذوقه في الأكثر من درس اللغة العربية سنين قليلة في المدرسة .

حفظت في صباي طائفة من المعلقات السبع وجانباً كبيراً من ديوان المتنبي . وحفظت اشياء من الشعر الذي كنت افهمه للمحدثين كديوان الطغرائي ، وكان معظم النثر الذي حفظته او تلوته لا يخلو من تكلف ، وافادني في تلقف مفردات اللغة كبعض مقامات الحريري ورسائل بديع الزمان الهمذاني ومقاماته ورسائل ابي بكر الخوارزمي ورسائل الصابي ومقامات الزمخشري ومقامات الاصفهاني وكتابي العتبي وابن الأثير صاحب المثل السائر ، وما انجاني من عسلطات هذا النثر المتكلف الا تعلقي بكتب الجاحظ بعد حين ، فكنت اقرأ ما يقع في يدي من رسائله وكتبه . وما فتئت في كل عام أعاود قراءة معظمه ، كما انظر في ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب واحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية المصري واحمد بن يوسف الكاتب العراقي وسهل بن هرون ومحمد بن عبد الملك الزيات وابي حيان التوحيدي والصولي والتنوخي وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون . وقد قرأت مقدمة ابن خلدون كثيراً وهي من الكتب التي احب كل حين معاودة قراءتها كالصحيحين

البخاري ومسلم ، ونهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الخراج لابي يوسف والأموال لابي عبيد القاسم بن سلام والكامل للمبرد والأمالي للقالي ، وكتب ابن قتيبة والماوردي والراغب الاصفهاني والغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حزم والطبري والمسعودي والدينوري ومسكويه وابن عبد ربه وابن حبان والمزرباني وقدامة والباقلاني والاشعري ويحيى بن عدي وابن هندو وعلي بن عبد العزيز وغيرهم من ارباب الانشاء الشائق .

وانصح للشداة المبتدئين أن يقرؤا من شعر القدماء والمحدثين حماسة ابي تمام وحماسة البحتري ومختارات البارودي ، ولا بد ان يخص بالدرس خمسة من دواوين للقدماء كديوان عمر بن ابي ربيعة والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم وخمسة من دواوين المعاصرين كالبارودي وصبري وشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم ، ويكرر في قلبه وعلى سمعه بعض ما بقي من تراث كبار المنشئين (راجع كتابي امراء البيان وكتابي رسائل البلغاء) وعلى الناشئ ان يختار الجيد الذي سلست كتابته واستقامت موازين افكاره ، وخلص من التكلف ومماجة التعقيد ، وحوشي الالفاظ من الكتاب والمؤلفين ، ومن اهم ما عليه تصفحه من كتابات المحدثين كتابات من جمعوا الى سلامة التفكير سلامة التعبير .

ولا يجب ان يفوت المتعلم التأدب بأدب من نقلوا من اللغات الاعجمية ورزقوا حظاً من البيان من المجودين في النقل لامتلاكهم ناصية اللغتين المنقول منها والمنقول اليها واهم تراث يتلقفه طالب المدنية العربية تلاوة كتب علماء الجغرافيا من العرب وهي التي نشرها علماء المشرقيات كما نشروا كثيراً من كتب التراجم والطبقات ومنها سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وطبقات الشعراء للجمحي والشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات القراء لابن الجزري والاشراف للبلاذري ووفيات الاعيان لابن خلكان وطبقات الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وطبقات الأدباء لياقوت والوافي بالوفيات للصفدي وتاريخ الوزراء للصابي وكتاب الكتاب والوزراء للجهشياري والأنساب للسمعاني وتهذيب الاسماء للنووي ومقالات الاسلاميين للأشعري . ومما طبعناه نحن العرب الأغاني للاصفهاني والأمالي للقالي والبيان

والتبيين للجاحظ ويتيمة الدهر للثعالبي والموشح للمرزباني ونقد الشعر لقدامة ونقد النثر المنسوب اليه أيضاً ومعاني الشعر للأشناندانى وأخبار غرناطة للسان الدين والذخيرة لابن بسام وصبح الأعشى للقلقشندي ونهاية الارب للنويري وعيون الاخبار لابن قتيبة وزهر الآداب وذيله للحصري والصناعتين للعسكري ودلائل الاعجاز لعبد القاهر وقلائد العقيان وذيله للفتح بن خاقان وأمالي السيد المرتضى وأمالي الزجاج والعمدة لابن رشيق والمضاف والمنسوب للثعالبي والمزهر للسيوطي والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الى غير ذلك من الممتع المفيد .

هذا بعض ما اسعدني الحظ بمطالعته من امهات كتب الادب واللغة والشعر ، وهناك كتب في الدرجة الثالثة او رسائل في موضوع خاص طالعتها ايضاً واستفدت منها ما وسعتني الاستفادة ، والطالب يقع عليها اثناء الدراسة فيتصفحها كما يتصفح المجلات والجرائد ، ويقيد ما يروقه منها في كراريس وجزازات ليأخذ منها حين الحاجة .

وأهم ما يتعين على من يريد التبريز في الكتابة ان يقرأ أكثر مما يكتب ويقرأ بترتيل وان يبتعد عن تناول الكتابات الجديدة التي خلت من مسحة البيان فانها تفسد الملكة وتقضي على البلاغة ، ويجب ان يكثر من الخوض في الموضوعات المختلفة منذ بداية امره ، فلا يغفل عن معالجة الكتابة في الرسائل الخاصة والمقالات العامة والخطب والمحاضرات . وعليه ان يقرأ ما يكتب على من يلاحظ انه عارف بهذا الفن ويقبل ملاحظاته ان كانت سديدة . وبعرض كلامه على العارفين تظهر له أمور ما كانت تمر في خاطره ، ولا يبادر الى النشر حالا ولا يتنطع فيتأخر عن النشر كثيراً توهمه نفسه ان الاتقان يكون مع الزمن وان من التهور المبادرة الى عرض بنات افكاره على الجمهور حال كتابتها . فالأولى ان يأخذ حالة بين بين لا يقدم متهوساً متهوراً ولا يتأخر جباناً .

ربما يقول بعض المتحذلقين وعلى هذا فاللغة العربية صعبة جداً يفنى العمر ولا يحسنها الطالب المستفيد وهذا كلام كثيراً ما فاه به بعضهم على غير هدى . فاللغة العربية ليست على خاطبها بأصعب من غيرها من اللغات ولكن كتب اللغات العلمية الكبرى اليوم ان تبادر قبل العربية الى تقريب اصول تلقينها على الطلاب . وهذه النغمة تسمعها في المدارس الأجنبية على الأكثر ، ولو صرف طالب العربية بضع

سنين كما يصرف الطالب سنين في تلقف احدى لغات اوربا لجاء منه رجل تام الأدوات في لغته يتذوق لغتها ولا يصعب عليه معالجة كل موضوعاتها ، ولكن القوم يريدون ان تكون لهم الاولية بدون درس مستديم سابق ، والبيان اليوم لا يوحى ايحاء بل يدرس درساً ويعالج معالجة ، ولا بد من اتخاذ عامة اسباب النجاح الى بلوغ الغاية فيه .

اشرت الى بعض ما يجب على طالب الأدب ان يأخذ نفسه به ، وارى قبل الاتيان على آخر الحديث ان استعين بما كتبه سيد البلغاء ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ثم ما نقله ابو حيان التوحيدي خليفته في طريقته في الانشاء الذي اعجب واطرب . فقد خوف الجاحظ طالب هذه الصناعة من التكلف والتعمل قال : والوجه الضار ان يحفظ الطالب الفاظاً بعينها من كتاب بعينه اومن لفظ رجل ثم يود ان يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون الا بخيلا فقيراً او خائفاً مسروقاً ، ولا يكون الا مستكرهاً لالفاظه متكلفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام ، فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ، ثم اعلم ان الاستكراه في كل شيء سمج ، وحيث ماوقع فهو مذموم ، وهو في الظرف اسمج وفي البلاغة اقبح . قال والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد حروف هجائه أحمد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب ، وانفع للمستمعين ، من كثير خرج بالكد والعلاج .

ومما قال ايضاً : وليس في الأرض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعتريه الغلط في شعره وفي ولده ، الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط . فمنهم المغرق المغمور ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف ، ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ، ومن اعادة النظر والتهمة الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك .

وروى التوحيدي قال : وليس شيء انفع للمنشئ من سوء الظن بنفسه ، والرجوع الى غيره وان كان دونه في الدرجة وليس في الدنيا مخلوق الا وهو محتاج الى

تثقيف ، والمستعين احسن من المستبد ، ومن تفرد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ، وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ ، ويشرد اللفظ كما يند المعنى ، وينتثر النظم كما ينتظم النثر ، وينحل المعقد كما يعقد المنحل .

وقال : أحسن الكلام ما رق لفظه ولطف معناه ، وتلألأ رونقه ، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يطمع مشهوده بالسمع ، ويمتنع مقصوده على الطبع ، حتى اذا رامه مريم حلق ، واذا حلق اسف ، اعني انه يبعد على المحاول بعنف ، ويقرب من المتناول بلطف .

هذه هي الجهة الأدبية من الموضوع بقيت الجهة المادية وهي تنحصر في كيفية الوصول الى هذه الكتب وهل تبتاع صبرة واحدة ام تشترى بالتدريج ، فالطريقة التي سار عليها اهل البصر ان يقتني طالب العلم كتبه شيئًا فشيئًا لا يدخل خزانته بضعة كتب جديدة حتى يكون أتم قراءة ماسبق له اقتناؤه على ان من الكتب التي اوردناها لا يتأتى لغير الموسع عليهم ابتياعه ، وهي في الاكثر من غرض الخزائن العامة . وكيف كانت الحال فاقتناء الكتب فرض على كل انسان يحاول ان يعد في البشر ، والناس في ديارنا زاهدون في هذه العادة اكثر من كل شيء ، فقد يقتني صاحب اليسار أخس الأشياء ، ولا ترى في داره كتاباً ، وعرفت اناساً يعيشون من معلوماتهم الحقوقية وما سبق لهم ان اشتروا شيئًا من الأسفار ، وليس عندهم من الكتب إلا ما أهداه لهم بعض المؤلفين من كتبهم ولكنهم ما طالعوها . ورأيت أناسًا درسوا في المدارس الثانوية ومنهم في العالية فما أهمتهم دراستهم وظلوا على المعلومات التي تلقفوها في المدرسة ما زادوا عليها شيئًا في المطالعة ، فما هي الا بضع سنين حتى اصبح حكمهم حكم العامة ضيق عقل وقلة معرفة . والعلم درة دونها كل الدرر لاتصل اليها الا بد من انفق اجمل ساعات حياته في المطالعة والدرس ، ولا ينتهي دور الدراسة الا بانتهاء الحياة . كالتجارب لايزال المرء منها في ازديادمادامنفسه يصعدويهبط .

محمد كرد علي

صلة الجاهلية بالعالم القديم (١)

(١)

سادتي الاماثل : السلام عليكم ، اما بعد فقد ابى المجمع العلمي الكريم إلا ان يحفزني الى القول ، ويخرج بي من سدفة العزلة ، فنزلت على حكمه المطاع ، وارهفت من غرب اليراع ، وبعد فمن ذا الذي يدعوه العلم فيجمجم ، ويهيب به الأدب فيحجم .

ايها السادة : لقد وقع اختياري على نبذة لي انشأتها عن « العصر الجاهلي وموقف اهله من العالم القديم في السياسة والتجارة » ولقد توفرت على استقراء ذلك من امهات الكتب الغربية ، وفي اللمع المبثوثة بين تضاعيف المؤلفات العربية .

تعريف العصر الجاهلي

لا جرم ان للعرب صلتهم السياسية والاقتصادية بالامم الغابرة ، وذلك ما اود ان اجمله في هذه المحاضرة ، فالعرب امة عريقة في المجد والسؤدد ، ترجع في نسبتها الى الدوحة السامية ، وكذلك اللسان العربي سواء اكان قحطانياً ام عادياً .

ويراد بالعصر الجاهلي ما كان عليه العرب قبل الإسلام من دأب وسيرة ، وقال ابن خالويه انه اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة ، وما تعدو تلك الحقبة في التاريخ المتداول مئة وخمسين عاماً قبل الهجرة عند جمهرة الأدباء ، وان ذلك ليكون صحيحاً لا غبار عليه اذا عنينا بأولئك العرب « اهل الحجاز ونجد » فقد كانوا الى مدى غير بعيد عن الشعوب بمعزل ، لما في باديتهم من جدب ، وما في طباعهم من عنجهية ، ولم يرزقوا حظاً من الشهرة وترامي الذكر الا بعد ان تحولت الى ارضهم الطرق التجارية ، فحملتهم على الاتصال بالأمم الأخرى ، واغرتهم بعقد الاسواق في عكاظ ومجنة وذي المجاز ، فوق ما فيض لهم من طول صحبتهم للانباط الذين كانوا قد انتشروا بينهم متفرقين على أثر هزيمتهم في سلع .

قدم العرب

ومن الخطأ المحض ان بعض الناس اذا ذكروا العرب في جاهليتهم ذهب بهم

(١) محاضرة ألقاها الشيخ فؤاد الخطيب في المجمع العلمي العربي بدمشق .

الظن الى الأمة قاطبة ، والى الامصار العربية باسرهـا ، فخلطوا بينها وبين القبائل الضاربة في اودية «الحجاز ونجد» على ان سائر العرب في اصقاعهم الأخرى الخصبة وقبل تلك الفترة الجاهلية بقرون متطاولة ، كانوا لدات الفراعنة ، والبابليين ، والآشوريين ، والرومان ، وحسبي ان ارجع بكم الى ذكر «بني عاد» فانهم اقتحموا مملكة الكلدان القديمة وحكموها ما يقرب من قرنين (سنة ١٥٤٦ قبل الميلاد) وكذلك «المملكة الآشورية» فقد خضعت للعرب البائدة فولي الأمر فيها تسعة ملوك منهم استتب لهم فيها الحكم ٢٤٥ عاماً كما يقول المؤرخ الكلداني بروسيوس ، ولما افضى الامر الى مرجون الأشوري قاتل بني ثمود وقضى بجلائهم الى مدينة غزة في فلسطين ، وكانت مواطن ثمود كما يقول بطليموس مدينة «اومن» في جنوبي العقبة الى المويلح ، وكانت هذه البقاع من قبلهم لبني لحيان كما نص على ذلك الجغرافي بلينوس ؛ ثم ان الاسكندر الاكبر المكدوني يوم غزا مدينة غزة الفى فيها حكومة عربية من «بني معين» وكانت هذه القبيلة العربية العجيبة قد غادرت وطنها الأول في جوف اليمن وانتشرت في الالف الثاني قبل الميلاد في جميع انحاء الحجاز وهضاب سيناء ؛ ويعتقد الاستاذ «جلازر» ان الهكسوس الذين هبطوا مصر فاتحين ؛ انما كانوا من بني معين ؛ واما أثر بني معين في الشعوب القديمة فتومىء اليه نقوش مكتوبة ظهرت في مدينة «اور» في العراق ؛ ويقول العلامة هومل ان الخط العربي المسند هو الاصل الذي انشعب منه الخط الكنعاني ؛ ومن جملة أدلته على صحة ذلك ان هنالك نماذج من الكتابة المعينية وصلت الينا أقدم من أختها الكنعانية .

حظ سورية من العروبة

ان الرومان عندما افتتحوا سورية وجدوا بين أهلها العرب ؛ وان لهم فيها دولتين شامختين — أما الاولى فدولة الانباط في سلع المعروفة عندنا بالبتراء أخذاً من اسمها العربي ؛ والى عاملها على دمشق أشار بولس الرسول في الاصحاح الحادي عشر من رسالته الثانية الى اهل كورنثوس فقال :

« في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد ان يمسكني فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »

أما الدولة الثانية فحكومة آل السميذع في تدمر ؛ ومن أشهر ملوكها اذينة الثاني زوج الزباء الطائرة الصيت ؛ وقد وقف الاستاذ ليتمن خلال التنقيب في النقوش الصفوية على اسم أذينة هذا مما يشعر بنباهة قدره ؛ وذيوع ذكره .

ثم انه لا يخفى عليكم ان احد رجال العرب قد تبوأ العرش الروماني فكان قيصراً للرومان ويعرف باسم فيلبوس العربي (٢٤٤ — ٢٤٩ م) وذلك أثناء احتفاء الرومان بذكرى الف سنة مرّت على تأسيس رومة .

ولعل من ادعى الامور الى الدهشة في هذا الوطن السوري الكريم ان سيادة العرب فيه كانت متصلة متتالية ؛ فلم ينتكث لها حبل ؛ ولا انطمس لها عهد ؛ فكلما انهدمت لهم دولة فيه ؛ نجمت اخرى مكانها ؛ فانه عندما انهارت المملكة النبطية ؛ نشأت بعدها التدمرية ؛ فلما تداعت أركانها ؛ قام بأمر العرب بنو غسان ، فلما استشرى الضعف فيهم ، اذن الله بظهور الاسلام ، فجمع كلمة العرب بعد الشتات والانقسام ، ونهض بهم من ذات الصدع ، الى ذات الرجع ، « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » .

الموقف السياسي

وقد حان لي بعد تلك اللمحة الخثيثة ان أشرف بكم ايها السادة على الحالة السياسية في الحقبة الاخيرة الجاهلية ، وموقف العرب منها .

إنّ ما يعرف اليوم بالشرق الادنى ، كان قبل ظهور الاسلام العامل السيامي في الحرب الطاحنة بين فارس والروم ، لنشوب اكثر المعارك فيه ، ولأن مملكة الروم كانت في أمس الحاجة الى متاجر الهند ، وسائر آسيا ، وبلاد العرب نفسها ولذلك كان من مرامي فارس ان تجد مستقراً لها في بلاد العرب ، لخطورة ذلك الموقع من الناحية الجغرافية ، ولأن في طاقة فارس ان تنفذ منه الى غرضها فتمنع خيرات الشرق عن الروم .

وأما مملكة الروم فكانت تذود عن مصالحها بمحالفة الاحباش ، لما بين الروم وبينهم من أواصر الدين ، فكانت تغريهم باليمن وتقيم منهم في تلك الاصقاع السحيقة سداً دون مطامع فارس ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠

فكان النفوذ السياسي في الشرق والجنوب من بلاد العرب لفارس ، وفي الغرب للروم ، وكانت مكة اميل الى هؤلاء منها الى خصمهم ، لصلتها التجارية بهم عن طريق سورية ، ولأن اكثر المكيين كانوا من القبائل الشمالية اي من بني عدنان ، أما يثرب فكانت لمكة بالمرصاد ، تنافسها في التجارة وتنقم عليها ثروتها الطائلة ، وكان أهلها من القبائل الجنوبية أي من بني قحطان ٠

لقد نزل العرب على تخوم فارس والروم في العراق وسورية منذ احقاب خلت فأكرهوا الدولتين فيما بعد على محالفتهم ، وأصبح للعرب عمال وامراء في المملكتين ، وكان كل قبيل منهم ينصر حليفه ، على ان العرب كانوا الفينة بعد الفينة يتناسون ما يبرم بين العاهلين من هدنة كما فعل القائد العربي الغساني المعروف باسم خالد في الغارة على عاصمة المنذر في العراق (٥٤٠ م) فانه لم يعبأ البتة بما كان بين الفرس والروم من مهادنة فشكاه كسرى الى جستنيان ، ولما لم يتلق منه جواباً ، أغار كسرى على اماسيا وحلب ومدن أخرى حتى كاد يكتسح سورية لو لم يهرع الروم الى طلب الصلح والنزول لكسرى عما استولى عليه من أمصار ٠

اما المملكة النبطية فكانت في الزمن الاخير أشبه بما نسميه اليوم (الدولة الحاجزة) ولكن الرومان غلب عليهم الجشع والطمع فلم يكترثوا لذلك فتيلا وقضوا عليها في عام ١٠٦ م ، وكان آخر ملوكها مالك الثالث بعد ان تعاقب عليها ما شاء الله من أزمنة بلغت ستة قرون او شيعها أدركت فيها الذروة من الحضارة والعمران ، ورواج الأسواق ، وقد اتخذت مدينة بصرى العربية من تلك الكارثة الفادحة بداية تؤرخ بها الحوادث جرياً على عادة العرب في مثل هذه الامور الجسام كعام الفيل ، وعام الختان ، ونحو ذلك ، اما الرومان فقد رزحوا بعد زوال الانباط تحت مشاكل مرهقة

فكانوا في عجز فاضح عن سد الثلمة ، ورأوا من الصحراء حلبة نزاع دائم بينهم وبين القبائل البدوية بله المملكة الفارسية ، أما العرب فحمل لواءهم بعد الانباط آل السميذع في تدمر ، وتحولت الى تدمر الطرق التجارية حتى بلغت قمة المجد في القرن الثالث للميلاد ، وقبل ان ينتصر عليها الرومان كانت صحراء سورية تنغش مكتظة بالقبائل البدوية النازحة من جوف الجزيرة وأطراف العراق ، واصبحت المدن السورية عرضة للغارة عليها في كل أوان ، فعقد الروم حلفا مع بني غسان ونفحوهم بالهبات المالية واتخذوا منهم ردءاً لهم في النوازل والخطوب ، ثم تضاءل ما بين الامتين من سبب وذريعة ، فالعرب في صفاء نفوسهم ، ومقتهم للغدر ، قد طالما زلت بهم القدم ، واسلمتهم الفطنة ، وران عليهم من الروم الدس والختل ، فجشمهم ذلك من عنت البلاء ضروباً ، ومن أذى المحن افانين ، أما الروم فكان نصيبهم الويل وفت العضد ، وان تاريخ العترة الغسانية لمفعم بتلك الصور السافرة ، مترع بما يعززها من مشاهد متواترة ، وحسبي في الدلالة عليها ماسنح وطفّ من سيرة ملوك ثلاثة هم الحارث الرابع ، وابنه المنذر ، وحفيده النعمان .

الحارث الرابع

لقد كان الحارث الرابع أشهر ملوك العرب المتأخرين من بني غسان ، واعظمهم شأناً وقد خلع عليه الامبراطور جستنيان لقب بطريق وفيلارك (٥٢٩ م) وذلك على أثر ما أحرز من نصر على المنذر الحيري ، وجزاء لما أسدى من يد للروم في اخماد فتنة السامريين ، اما فيلارك العرب في فلسطين فكان يعرف بأبي كرب وقد شدّ أزرهم في تلك النائرة فكافأه القيصر بعشرين الف أسير باعهم أرقاء للفرس والاحباش .

ولقد قاتل الحارث تحت قيادة بليساريوس ولكنه في الاوبة ركب غير الطريق التي سلكها جيش الروم فظنوا به الظنون ، وانه دلس عليهم الرأي ، وانّ له بالفرس صلة مستسرة ، وكذلك كان الروم يصدرون في معاملتهم للعرب عن ريبة تساورهم ، وحذر يملي عليهم ، فأخرجوا العرب من سجيتهم مكرهين ، وسلخوهم عن فطرتهم مرغمين .

لقد كان الحارث خصماً عنيداً للمنذر الحيري وهو المعروف بابن ماء السماء

وجد النعمان ابي قابوس آخر ملك لخمي في الحيرة ، وكان مثار النزاع في الاكثر بين الملكين العربيين تلك البادية الواقعة جنوبي تدمر ، فقد ادعاها كل منهما لنفسه ، وانه الحقيق وحده بجباية الاتاوة منها ، وقد تجدد القتال بين الحارث والمنذر في سنة ٥٤٤ م فوقع ابن الحارث أسيراً بيد المنذر فقدمه قربانا لإلهته العزى (افروديت) وفي خلال سنوات عشر من تلك الحرب الضروس نشبت المعركة الحاسمة بين الملكين فسقط فيها المنذر الحيرى قتيلا وصرع احد انجال الحارث الغساني ويقول العلامة نولدكي عنها انها هي وقعة الحيارين ويوم حليمة وانها معركة واحدة لا اثنتان ، وان حليمة ليست امرأة بل اسم مكان . وقد رحل الحارث في أواخر حكم جستنيان (٥٦٣) م الى القسطنطينية وفاوض القيصر فيمن يخلفه على سورية من اولاده ، وكان لهيبته سلطان كبير على ابن اخي القيصر جوستين ، وكان وليا للعهد ، فلما آل اليه الملك واصابه الخرف كان رجال البلاط يروعونه باسم الحارث كلما نشز عليهم واعياهم امره ، وقد رجع الحارث من العاصمة الى سورية ومعه اسقف من القائلين ببدعة الطبيعة الواحدة ، رعاية لشعور قومه الديني ، فقد كانت تلك العقيدة بينهم فاشية ، ولفظ اسقف معرب (ابسكبيوس) باليونانية ، ومعناه رقيب او ناظر والمعروف عن الحارث انه قد توفي في غضون ٥٧٠ م بعد ان تولى الأمر اربعين عاما ، وقد ورد اسمه في الوثائق الكنسية لسنتي ٥٦٨ ، ٥٦٩ م .

كان الحارث كسائر العرب ، يهزه الأدب ، وله بصر بمذاهب الكلام ، وقد اتخذ المرقش الاكبر كاتبًا له ، ومما اوصاه في ذلك قوله « اذا نزع بك الكلام الى ابتداء معنى غير ما أنت فيه ، فصل بينه وبين ما تبتغيه من الالفاظ ، فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيها وملتها الاسماع ، واستثقلتها الرواة » .

ومن كلام المرقش يصف البادية والذئب

ودوية غبراء قد طال عهدها ... تهالك فيها الورد والمرء ناعس
وتسمع تزقاء من البوم حولنا ... كما ضربت بعد الهدوء النواقس
ولما أضأنا النار حول شِوائنا ... عرانا عليها اطلس اللون بائس

نبذت اليه حزَّةً من شوائنا حياء، وما فحشي على من اجالس
فآض بها جذلان ينفض رأسه كما آب بالنهب الكميُّ المخالس

ومن أخبار الحارث انه مر بافاريق من تغلب، وكانت بنو تغلب قد لحقت بالشام بعد ثورتها على ملك العراق؛ فلم يستقبلوا الحارث، وركب عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبي فلقيه فقال له الملك: ما منع قومك ان يتلقوني؟ قال: لم يعلموا بمرورك؛ قال: لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم ايقاظاً لقدومي؛ فقال عمرو: ماستيقظ قوم قط الا نبل رأيهم، وعزت جماعتهم، فلا توقظن نائمهم.

جوستين الثاني والمنذر

ولما أفضى الأمر الى جوستين الثاني عمل على اغتيال المنذر نجل الحارث، وكان قد خلف أباه، وقاتل الفرس وعرب العراق تحت لواء الروم، ولكن المؤامرة حبطت وثار المنذر على الروم سنوات ثلاثاً أغار الفرس في خلالها ومعهم أنصارهم من عرب الحيرة على سورية، فأوفد طيباريوس، وكان وصياً على العرش، مفوضاً من القسطنطينية اسمه يوستنيانوس لعقد الصلح مع المنذر فاجتمع به عند ضريح القديس سرجيوس في الرصافة، وكان ذلك القديس موضع احترام السوريين قاطبة، وتم الصلح في صيف ٥٧٨ م وقد توفي جستين الثاني في هذا العام وقام بالامر بعده طيباريوس وكان اكثر تودداً للعرب، فسافر المنذر الى القسطنطينية ومعه ولداه ولبس فيها التاج (٥٨٠ م) وكان القياصرة قبل ذلك لا ينعمون على العرب الا (بالاكليل) ثم انقلب المنذر الى سورية وهاجم عرب الحيرة الا انه لم يتجاوزهم الى ارض فارس فارتاب الروم بأمره ورموه بالتواطوء مع الفرس وكلفوا القائد ماغنوس في سورية ان يقبض عليه، فدعاه الى احتفال في كنيسة حوارين وهناك اعتقله وأرسله مخفوراً الى العاصمة.

ثورة بني غسان

وقطعت الروم الاعانة المالية عن العرب، فاستعرت لظى الثورة تحت زعامة النعمان النجل الاكبر للمنذر يعززه اخوته الثلاثة فاشاعوا الرعب في سورية جمعاء حتى انخلعت

منهم قلوب الحامية في بصرى فتخلت لهم عن الذخائر الحربية وغيرها من أموال ابيهم المودعة في بصرى ، فعبأ طيباريوس جنوداً أخرى وضعها تحت قيادة ماغنوس لقمع الثورة ، وكان مع الجيش اخ للمنذر أعده الروم تضليلاً للعشائر الغسانية ولكن المنية ادركته في الطريق فأسقط في يد القائد الرومي الا انه احتال على النعمان فدعاه الى المفاوضة السلمية فأجاب الدعوة ولكن ماغنوس غدر به فقبض عليه وأرسله الى القسطنطينية فبلغها في عهد القيصر موريقوس وكان يعامل فيها كأسير حر فانتشرت الفوضى بعد ذلك بين العرب السوريين ، وانقسموا حول شيوخهم شيعاً عزين ، حتى اذا زحف الفرس على الروم واثخنوا فيهم (٦١٣ — ٦١٤ م) لاذ العرب باذيال الحياد، بل انضم بعضهم الى الفرس ، ولحق منهم عـدد قليل ببلاد الروم ، الا ان هرقل أعاد تأسيس المملكة الغسانية (سنة ٦٢٩ م) ونصب عليها جبلة ابن الأيهم ولكن الطلائع العربية كانت في خلال ذلك قد أخذت تحت راية الاسلام تقرع بظبات سيوفها ابواب مملكته من الجنوب .

العرب والفرس

اما فارس فشمرت لطرد العرب من العراق بعد ان بثوا المستعمرات العربية على حدود الفرثيين وتفاقم امرها حتى شملت الارض التي عرفت فيما بعد بالسواد ، فحاصر ازدشير اول ملوك بني ساسان المستعمرة العربية المعروفة باسم (الحضر) ثم ان ابنه سابور انتصر على العرب (٢٤٠ م) ولكنه عي باخراجهم من البلاد فعقد اتفاقاً معهم ينص على ان يتناول العرب اعطيات مالية من الملك الأعظم وان يخضعوا له ، وان يدافعوا عن الحدود قال الشاعر :

أقفر الحضر من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار

والثرثار واد عظيم بين سنجار وتكريت كانت فيه منازل بكر بن وائل واختص باكثره بنو تغلب منهم ويمر بالحضر ثم يصب في دجله قال عدي بن زيد .

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلساً فللطير في ذاره وكور

نظام الاستعمار الفارسي

لقد كانت المملكة الفارسية تتألف من ولايات شتى يتولى شؤونها رئيس يكون مسؤولاً لدى الملك الاعظم وقد تنتخب الولاية رجلاً ينصبه الملك وقد يولي غيره ، وقديمًا تم تكوين الجالية اليهودية تحت زعامة رئيسهم في الاسر جرياً على هذه القاعدة ، وعندما عظم أمر المسيحيين انفردوا بولاية مستقلة تحت رئاسة سلوقية ، فعاهل فارس وان كان في الظاهر مستبداً الا انه كان يحكم المقاطعات المترامية الاطراف وفقًا لرغبة أهلها بخلاف ما كانت عليه دولة الروم من تزمت في الادارة وضيق عطن ، ولذلك استمتع العرب تحت حكم فارس بنوع من (الحكم الذاتي) واسع النطاق ، فكان لهم استقلالهم تحت سيادة ملوكهم ، وكانت التزاماتهم للملك الاعظم تجري طبقًا لميثاق بعقد ، فكان الملك الاعظم يختار على العرب ملكاً من لخم أرباب القصور والحضارة ، اما بنو تنوخ فكانوا من سكان الخيام . ولقد بلغ من علو شأن العرب عند الفرس ان ملك فارس يزدجرد الاول (٤٢٠ م) بعث ابنه الاكبر بهرام الى الحيرة لينشأ فيها على البطولة والفروسية ، ولكي ينعم بالهواء الطلق ولذة الصيد ، وقد سمت الحيرة الى اوج العظمة في عهد المنذر الثالث ، وعندما عقدت مملكة الروم صلحًا مع كسرى انوشروان (٥٣٢ م) دفعت غرامة لملك فارس ومثلها لملك العرب المنذر .

الموقف الداخلي في بلاد العرب

لقد كانت مملكة حمير في مطلع القرن السادس بعد الميلاد مشرفة على الزوال ، وكانت حكومة نجران في اليمن قد دب اليها هي الاخرى الضعف وكانت تتألف من أمير يلقب بالعاقب ، ووكيل يعرف بالسيد ، ومن اسقف ينظر في أمور الدين ، وكان ملوك القسطنطينية قد شرفوا العاقب ومولوه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه ، ولذلك كله خلا المجال (لملك الحيرة العربي) وأصبح (سيد العرب) في القسم الجنوبي من الجزيرة وخضعت

له معظم القبائل في أواسطها ، وكان سلطان الفرس مرتبطاً بذلك التوسع والنفوذ ، فأصبحت السيادة لفارس على الجنوب الشرقي من الجزيرة ، وعلى الجنوب الغربي منها ، فلا غرابة والحالة هذه اذا رأينا الملك عمرو بن هند يشير الى البحرين ، وهي عنه البعيدة النائية بأنها تحت حكمه ، وداخلة في نطاق أعماله ، ويأمر المتلمس وطرفة الشاعرين الشهيرين بالسفر اليها ، لقبض الجائزة من عامله عليها ، وقد حمّلها اليه كتاباً منه ، وانكم ايها السادة لتعلمون ان المتلمس انكر تلك الصحيفة فدفعها الى غلام من اهل الحيرة يقرؤها له ، لأنه كان أمياً ، فاذا فيها (أما بعد فاذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) فقذف المتلمس بالصحيفة في اليم وهرب الى بصرى وأخذ يهجو الملك ابن هند ، وكان قد بلغه ان الملك كان يقول: (حرام عليه حب العراق ان يطعم منه حبةً ولئن وجدته لأقتلنه) وكان مما قاله المتلمس :

يا آل بكر الا لله امكم طال الثواء وثوب العجز ملبوسُ
أغنيت شاتي ، فأغنوا اليوم تيسكم واستحمقوا في مراس الحرب او كيسوا

ثم قال :

آليت حب العراق الدهر احرمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكداديس

وقال عن الصحيفة :

قذفت بها في اليم من جنب كافر كذلك اقني كل رأي مضللِ
رضيت بها لما رأيت مدادها يجول به التيار في كل جدول

أما طرفة فانتهى الى البحرين وأمضى فيه العامل أمر الملك ، وقد رثته أخته الخرنق فقالت :

عددنا له خمساً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما
فجعنا به لما انتظرنا ايابه على خير حال لا وليداً ولا قحما

ولقد كان عمرو بن هند هذا على مافيه من قسوة وعتو ، وهو الملقب بمضرط الحجارة ، يروقه الشعر ويطرب لانشاده ولما انشده الحارث بن حلزة قصيدته وكان

بينهما سبعة ستور اعجب الملك بمنطقه وكانت هند ام الملك تسمع ، فقالت لابنها (تالله ما رأيت كاليوم رجلاً يقول مثل هذا القول بكلم من وراء سبعة ستور) فقال الملك (ارفعوا ستراً وادنوا الحارث) وما زالت هند يزيد اعجابها به ، والملك يقول ارفعوا ستراً وادنوا الحارث حتى ازيلت الستور السبعة ، واقعده الملك قريباً منه ثم اطعمه من جفنته وأمر ان لا ينضح اثره بالماء لأن الحارث كان به وضح أي برص ، واطلق الملك السبعين بكرياً الاسرى ودفعهم الى الحارث ، وفضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم ، فعاد التغلبيون الى أحيائهم ومعهم شاعرهم وهم يحملون في جوانحهم للملك كل ضغن ، ولبثوا كذلك ماشاء الله حتى جمعهم الملك مرة أخرى فثاروا عليه وانتهبوا رواقه ، وساقوا نجائبه ، وعلاه عمرو بن كلثوم بالسيف فأودى به .

الممثل الفارسي

أما الممثل الفارسي فكان بمنزلة المندوب السامي في السياسة الحاضرة ، ومقامه في صنعاء ومنها يشرف على سائر اليمن وعمان والبحرين ، ويمتد نفوذه الى الصميم من نجد عن طريق اليمن وذلك ان كندة من القبائل القحطانية كانت قد التفت حولها قبائل بني بكر من اليمامة في أواسط القرن الميلادي الخامس لاتساع شقة الخلاف بين البكريين ، فأجمع عقلاؤهم على أن يولوا منهم ملكاً يختاره لهم سيد اليمن نفسه فانتقى لهم رجلاً من كندة اسمه حجر وهو والد امرئ القيس الشاعر الكبير فذهب الى نجد وجمع البكريين تحت لوائه .

حكاية عجيبة

ومن أعجب ما حدثتنا به السير أن أحد ولاة فارس في صنعاء وهو المسمى باذان أوفد بعض الجند الى الرسول الأعظم ﷺ في المدينة المنورة ، ولم يوفد اليه جيشاً لجباً بل رجلين اثنين من رجاله لأن الحجاز كانت من (مناطق نفوذه) ولذلك لم تنكر قريش على باذان ما فعل ولا وقع لديها أمره موقع الاستغراب بل فرحت برؤية جنديه وظنت بالله الظنون فانه لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كسرى الى باذان

عامله على اليمن (بلغني ان في أرضك رجلاً تنبأ فابعث به الي) فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان كاتباً حاسباً وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخسره فكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى وقال لبانويه (ويلك انظر ما الرجل وكلمه وائتني بخبره) فلما بلغا الطائف وكان فيه حينئذ جمع من أشراف قريش مثل أبي سفيان وصفوان بن امية وغيرهما فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انه بيثرب فلما سمع ابو سفيان وصفوان بن أمية مضمون كتاب باذان فرحا وقالا (مثل كسرى قام بعداوته) وقدم بانويه وخرخسره المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدما عليه انزلها وامرهما بالمقام أياماً ثم أرسل لهما ذات غداةٍ ولما دخلا عليه قال لهما (اجلسا) فبركا وجلسا على ركبهما وكلمه بانويه وقال (ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلك قومك ومخرب بلادك) وأعطياه كتاب باذان ولما اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتاب باذان وسمع حكايتهما تبسم ودعاهما الى الاسلام ثم قال لهما (ارجعا حتى تأتياني غداً) فلما أتيا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغد قال (ان ربي قد قتل الليلة ربكما بعد ما مضى من الليل سبع ساعات ، سلط عليه ابنه شيرويه حتى بقر بطنه ،) وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء العاشرة من جمادى الاولى من السنة السابعة من الهجرة ثم قال (اذهبا واخبرا صاحبكما — يعني باذان — بهذا الخبر) فقالا (هل تدري ما تقول ؟ انا قد نقمنا منك ماهو أيسر من هذا أفنكتب بها عنك ونخبر الملك) قال النبي (نعم أخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر وقولا له انك ان اسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خرخسره منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر فقال (ما هذا بكلام ملك واني لأرى الرجل نبياً كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كان ماقاله حقاً سيأتي

الخبر الي يوم كذا ولا كلام انه نبي مرسل ولا يسبقني عليه أحد من الملوك في الايمان به ، وان لم يكن فسنرى فيه رأينا) فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه (أما بعد فاني قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل اشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي تخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه) فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال (ان هذا الرجل لرسول الله حقاً) فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن وبعث باذان بإسلامه واسلام من كان معه الى رسول الله ﷺ .

امرؤ القيس ورحلته الى قيصر

لقد كان العرب في ذلك الزمن الغابر كلما ضاقوا ذرعاً بالمسيطر عليهم من غير بني جنسهم فزعوا الى خصمه ولذلك سافر امرؤ القيس الى القسطنطينية بعد مقتل ابيه مستصرخاً القيصر « جوستنيان » على بني أسد ، وعلى المنذر ملك العراق ، فوعده القيصر خيراً ثم عرض عليه أن ينصبه أميراً على فلسطين فأبى امرؤ القيس تلك الامارة وكرّ راجعاً الى نجد ومات في أنقره .

ان في سفر امرئ القيس الى العاصمة الرومية لدليلاً على معرفة العرب باستغلال العداوة القائمة بين الروم والفرس ، وبرهاناً على علمهم بأسباب النزاع بين الدولتين ، فقد طمع امرؤ القيس في نصرة الروم له لما وقر في نفسه من أنهم يرغبون في ان يصيبوا من أعدائهم الفرس مقتلاً من مقاتلهم الاقتصادية ، وان امرأ القيس لم ينس أن يشيد بما عنّ له من ضروب الطرف التجارية في قصيدته الرائية فذكر السنا ، والمسك الموضوع في حقة يمانية ، والبان والعود والبخور المدخن وذلك في قوله :

وريح سنا في حقة حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا
وبانا ، والوّيا من الهند ذاكياً ورنداً ولبنى والكباء المقترا

ولقد كان لبني أسد النصيب الأوفر ، في اخفاق امرئ القيس عند قيصر ، فقد دسوا اليه وفداً منهم أتى القسطنطينية وعلى رأسه الطماح بن قيس فأفسد رأي القيصر في امرئ القيس ، وحمله على التبرم به والاعراض عنه قال امرؤ القيس :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

الا ان بعد العدم للمرء قِنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وقد رزيء امرؤ القيس ببعض أصحابه في الطريق الى قيصر فمات منهم الحارث ابن حبيب السلمي فرثاه بقوله :

ثوى عند الوديه جوف بصرى ابو الايتام والكل العجافِ

فمن يحمي المضاف اذا دعاه ويحمل خطة الانس الضعاف

والوديةالنخلةالصغيرة ، وقدبكى رفيقه عمرو بن قميئة شاعر بني بكر المشهور وهوالمعني بقوله :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبكِ عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

منازل بني أسد والحارث الاعرج

ولقد كانت منازل بني أسد تقع الى الجنوب من تيماء اي الى الشرق من الطريق التجارية الكبرى و كانت قبائل بني عذرة ، وجذام ، وبلي ، منتشرة على طول تلك الطريق التي أصبحت اليوم طريق الحجاج من معان الى المدينة وأما سلاسل الجبال اجأ ، وسلمى ، وعوارض ، فكانت تشرف من الغرب والجنوب على بني أسد الذين تؤلف منازلهم التخم الشمالي لعنزة والنمر النازلين على الطريق المؤدية من ناحية الجنوب الى فلسطين وسورية . قال حسان بن حنظلة الطائي :

غضبت علي ان اتصلت بطيءٍ وأنا امرؤ من طيءِ الاجبالِ

أي اجاء وسلمى وعوارض . وأما بنو كلب وهم قبيلة يمانية كذلك فتنزل في الشمال وفي الشمال الشرقي من مواطن تلك القبائل اعني في المنخفضات التي تعرف اليوم باسم الجوف ووادي السرحان، و كانت كثبان الرمال المترامية التي تسمى اليوم صحراء « النفود » هي الحاجز بين تلك القبائل اليمانية وبين بني أسد ، و كانت ديار بني أسد هدفاً لهجوم الغسانيين عليهم ، وأشهر من غزاهم الملك المعروف في القسطنطينية باسم (الحارث الاعرج) وقد مزق شملهم بجيوش جهزها عليهم خاصة لاعتدائهم بالغارة بعد الغارة على الحدود (٤٩٧ — ٥٠١م) ولجأت بقية السيوف منهم الى اوزاع غيرهم من اخوانهم الآخرين .

قال شاعر بني أسد عبيد بن الابرص يذكر الحارث الاعرج :

نحن قدنا من أهاضيب الملا ا   خيل في الارسان امثال السعالي
فانتجعنا الحارث الاعرج في   جحفل كالليل خطار العوالي

ثم يصف ديار بني أسد فيقول :

ولنا دار ورثنا عزها   م الاقدم القدموس عن عم وخال
مالنا فيها حصون غيرما   م المقربات الجرد تردي بالرجال

وقال عن بني غسان :

بجحفل كبهيم الليل منتجع   ارض العدو لهام وافر العدد
وكل أجرد قد مالت رحالته   نهد المراكل فعم ناتئ الكتد
حتى تعاطين غساناً بحربهم   يوم المرار ولم يلووا على احد
غوت بنو أسد غسان أمرهم   وقل ما وفقت غسان للرشد

وقال فيهم :

وجمع غسان لقيناهم   بجحفل قسطله ذائلُ

وقال يسخر من امرئ القيس وذهابه الى قيصر

ياذا المخوفنا بمقتل شيخه   حجر تمني صاحب الاحلام
ازعمت أنك سوف تأتي قيصراً   فلتهلكن اذا وأنت شآم

وقال يعيره :

وأنت امرؤ ألهاك دف وقينة   فتصبح مخموراً وتمسي كذلكا
ظللت تغني ان اصبت وليدة   كأن معداً أصبحت في حبالكا

أما امرؤ القيس فأودع دروعه عند السموأل بن عادياء فجعلها في قصره الابلق بالقرب من تيماء ولما ذاعت الانباء بوفاة امرئ القيس ظهر الحارث الغساني امام الابلق بصفة أنه حامي الحدود الرومانية وطلب الدروع من السموأل وهدده ان لم يفعل بقتل ابنه على مرأى منه ومسمع ، وكان قد قبض عليه خارج الحصن أثناء عودته من الصيد فأبى السموأل تسليم الدروع وقتل الحارث ابنه ونكص عن الحصن يجر

أذيال الخيبة أما حجة الحارث فكانت تقوم على أن امرأ القيس أصبح من (التابعية الرومانية) بطلب مساعدة القيصر ، وأما الحارث فقد أصبح بصفة كونه يمثل الامبراطورية على حق في ان يرث امرأ القيس ·

النظام العسكري في الحيرة

أما النظام العسكري فليس لدينا أنباء عنه مسهب الا ما كان منه في بلاط النعمان بن المنذر ، فقد كانت للنعمان كتائب خمس وهي الرهائن — والصنائع — والوضائع — والاشاهب — ودوسر ·

أما الرهائن فكانوا خمسماية رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ثم يستبدلون بخمساية آخرين ، وينصرف أولئك الى احيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره

أما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ، و كانوا خواص الملك لا يبرحون بابه أي أنهم كانوا له « الحرس الخاص » ·

اما الوضائع فكانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك فارس في الحيرة نجدة لملك العرب و كانوا كذلك يقيمون سنة ثم يخلفهم الف رجل وينصرف أولئك الى ديارهم إي انهم كانوا « جيش الاحتلال » ·

أما الاشاهب فأخوة ملوك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم وسموا الاشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه ، قال الاعشى :

وبنو المنذر الاشاهب في الحير ة يمشون غدوة كالسيوف

وأما دوسر فكانت اخشن كتائب الملك وأشدها بطشاً ، ومن كل قبائل العرب ، ومعظمهم من ربيعة ، و كانت دوسر تعد أربعة آلاف رجل ، وسميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر ، وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها ·

و كان الملك في رأس كل سنة من أيام الربيع يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً عنده وهم (ذوو الآكال) فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم ·

(يتبع) فؤاد الخطيب

المترادف

هل نجد في اللغة ألفاظاً تترادف في معانيها ترادفاً متكاملاً ، هذا سؤال خطر بالبال وأنا أطالع كتابين متناقضين : الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي .

يقول الهمذاني في مقدمة كتابه : فليست لفظة منها ، أي من الألفاظ التي جمعها ، الاّ وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة او تقوم مقامها في المحاورة ، امـا بمشاكلةٍ او بمجانسةٍ او بمجاورة .

قبل أن أسأل هذا السؤال : هل تنوب في اللغة لفظة عن لفظةٍ مناباً كاملاً ، أحب ان اشير الى بعض ألفاظٍ ذكرها الهمذاني في كتابه ، فقد وقعت عيني في هذا الكتاب على باب ترادف السلب ، أشار الهمذاني الى انه يقال : اغتصب فلان مال فلان وسلبه .

فلننظر في معاني هاتين المادتين ، ذكر الفيروزابادي مادة غصب فقال : غصبه أخذه ظلماً كاغتصبه ، وغصب فلاناً على الشيء قهره .

وذكر مادة سلب فقال : سلبه اختلسه كاستلبه .

فالقارئ يرى ان الاغتصاب يستلزم الظلم والقهر ، أما السلب فليس يستوجب شيئاً من هذين الأمرين ، وانما يحتاج الى الخفة والسرعة فان من جملة معاني السلب السير الخفيف السريع !

يستنتج من هذا أن سلبه لاتنوب عن غصبه نوباً متكاملاً اذا توخينا دقة التعبير .

ومثل هذا الباب في الألفاظ الكتابية باب اللوم مثلاً ، فقد ذكر الهمذاني انه يقال : لمت الرجل لوماً وفندته تفنيداً .

فالفند بالتحريك الخرَف وإنكار العقل لهرم او مرض والخطأ في القول والرأي والكذب وفنّده تفنيداً كذّبه وعجّزه وخطّأ رأيه ، فانظر الى اتساع معاني هذه المادة .

أما اللوم فليس فيه شيء من كل ماذكر فقد تلوم الانسان وليس من الضروري

أن يكون خرفاً او ان تنكر عقله لهرمٍ او مرضٍ أو غير ذلك ، فهل تقوم لفظة لمت الرجل مقام فنّدته اذا كنا نُعنى بأسرار التعبير .

ونقيض كتاب الهمذاني كتاب : فقه اللغة ، للثعالبي ، فقد جعل لكل لفظة أسرارها وروحها بحيث لا نكاد نجد في ألفاظٍ متقاربة المعاني لفظة تنوب عن أختها او تقوم مقامها .

انظر مثلاً في تفصيل أوصاف السيد ، قال الثعالبي : الحلاحل السيد الشجاع ، والهمام السيد البعيد الهمة والقمقام السيد الجواد والصنديد السيد الشريف ، الى آخر هذه الاوصاف .

فأنت ترى ان لكل لفظة من هذه الالفاظ أسرارها وروحها ، فالشجاعة غير بعدِ الهمة ، وبعد الهمة غير الجود والجود غير الشرف ، فقد يكون السيد شجاعاً ولا يكون بعيد الهمة ، ويكون بعيد الهمة ولا يكون جواداً ، ويكون جواد ولا يكون شريفاً .

فهل تشتمل اللغة على ألفاظٍ مترادفةٍ تكامل ترادفها ، هذا ما أحببت الوصول الى السوآل عنه .

* * *

أنشأ « فنلون » في القرن السابع عشر كتابه الى « الاكادمية » الفرنسية ، بحث في هذا الكتاب عن أمور شتى ، فقد بحث عن المعجم وقواعد النحو واللغة والبديع والشعر والأنواع الأدبية والتأريخ وأشباه هذا كله .

من جملة كلامه في فصل اللغة قوله : إذا فحصنا عن كثبٍ عن معاني الألفاظ فقد يتبين لنا أنا لا نكاد نجد بين هذه الألفاظ لفظتين مترادفتين على وجه متكامل .

وقد قرأت تعليقاً على هذه العبارة لناشر كتاب « فنلون » وهو مفتش عام في وزارة المعارف ، جاء فيه اننا اذا لم نجد لفظتين مترادفتين فهذا سببه انه لا يمكن وجود هاتين اللفظتين ، ففي أية لغةٍ من اللغات لا نستطيع ان نشير في مختلف ألفاظ هذه اللغة الا الى صلاتٍ في الترادف متقاربة لا متكاملة ، لأننا اذا ذهبنا الى أصل هذه الألفاظ او اذا نظرنا في اختلاف الأشياء الدالة عليها فقد يسهل علينا ان نجد فرقاً بين لفظتين نزعم انهما مترادفتان ، ثم أتى هذا الكاتب على ذكر طائفةٍ من

الألفاظ الفرنسية لا نجد لها نظائر في لغتنا العربية ، من حيث وجه الشبه ، لأن في اللغة الفرنسية ألفاظاً من أصل لاتيني وألفاظاً من أصل يوناني ، فاذا ذكرت لفظتان مترادفتان من هذين الأصلين المختلفين فقد يهون على الباحث ردّهما الى أصلها أما نحن معاشر العرب فلم نعرف حتى اليوم أصل لغتنا العربية ، على أن أهل اللغة بحثوا عن المترادف وستأتي الاشارة الى هذا البحث .

وقال الاستاذ « دارمستتر » في كتابه الجليل : حياة الالفاظ في فصل المترادف : لا نجد في لغةٍ خُلقت في أحسن تقويم مترادفات على وجه متكامل ، على أنا نجد في لغتنا الفرنسية ألفاظاً كثيرة مختلفة للدلالة على شيء واحد ، فلبعض النبات مثلاً أو لآلةٍ من الآلات ، او لمحصول صناعي ، خمسة أو ستة او ثمانية أسماء ، ولكن هذه الاسماء اذا كانت مستعملةً فان استعمالها لا يقع الا في اماكن متفرقة ، او في صناعات متباينةٍ ، اذ ان كل طائفة من الرجال ليس لها الا لفظة واحدة للدلالة على الشيء الواحد ، على ان هذه الأسماء المختلفة تدل على صفات مختلفة سميت الاشياء بها في أصل تسميتها ، وفعلاً لا يمكن ان يكون في اللغة العامة مترادفات متكاملة ، الا اذا كان أحد اللفظين المترادفين أقل استعمالاً من الآخر ، واذا كان اللفظان مستعملين فان ترادفها لا يطول زمنه لأن فكر الانسان لا يريد أن يزعجه حمل لا فائدة فيه ، فهذا الفكر اما ان يطرح في النهاية احد اللفظين واما ان يستعمله .

* * *

لقد بحث علماء لغتنا في المترادف المبحث نفسه ، ولم يكن تفننهم فيه أقل من تفنن علماء لغة الغرب ، فقد ذهبوا في المترادف مذاهب شتى أشار اليها السيوطي في المزهر ، فمنهم من قال ومن الناس من أنكر المترادف وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات ، فقد يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام ولكن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الالقاب صفات ، فكل صفةٍ منها فمعناها غير معنى الاخرى .

وخالف في ذلك قوم فزعموا ان هذه الاسماء وان اختلفت ألفاظها فانها ترجع الى معنى واحد وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الآخر ، وكذلك الأفعال ، ففي قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه مثل مضى وذهب وانطلق ورقد ونام وهجع وغير ذلك .

فأنت ترى ان فريقاً من علماء لغتنا أنكروا المترادف كما أنكره فريق من علماء الغرب ، وكيف يكون السيف والصمصام مترادفين تكامل ترادفهما ، فمن أين جاءت هذه المادة : الصمصام ، يقال : صمم السيف كصمصم اصاب المفصل وقطعه او طبّق ، ومنهم من قالوا : ان التصميم هو المضي في العظم وقطعه ، والتطبيق هو اصابة المفصل وقطعه ، ومنه : والصمصام السيف لا ينثني ، فلفظة الصمصام لا تقوم مقام السيف ، فان لها صفة خاصة : السيف الذي لا ينثني ، واذا زعمنا ان هاتين اللفظتين مترادفتان ، فهل تنوب الواحدة عن أختها ، من كلام الجاحظ : كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها ، فكيف يكون وقع كلامه لو قال : كان عبد الملك بن مروان صمصام قريش ، أفلا نجد ان لفظة السيف اذا استعملت في موضعها فلا تقوم مقامها لفظة أخرى من أخواتها القريبة منها مثل الصمصام .

وكذلك القول في كثير من الألفاظ التي زعموا انها مترادفة .

ففي كل اللغات الفاظ لم يتكامل ترادفها ، فان بعضها ينفصل عن بعض بشيء من الاختلافات والبراعة كل البراعة في تمييز هذه الألفاظ وفي استعمالها في المواضع المناسبة وهذا ما نسميه : فقه اللغة ، وكلما ملكت اللغة ألفاظاً كثيرة للافصاح عن اختلافات الفكرة الواحدة او العاطفة الواحدة كلما ازداد غناها ، فاذا عرضت لنا مثلاً فكرة السيادة ، وكان لهذه الفكرة الواحدة أوصاف مختلفة كالشجاعة وبعد الهمة والجود والشرف استطاعت لغتنا ان تفصح عن كل صفة من صفات هذه السيادة وهذا من كمال حسن اللغة ، اما الترادف المتكامل فلا أثر له في اللغة ، فلكل لفظة سرها وروحها .

شفيق جبري

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول

(٣)

قلت في الجزء السابق من مجلتنا هذه أن لديّ عشرين لفظة أخرى من ألفاظ مجمع فؤاد الأول للغة العربية لا أدري متى يتسع وقتي لذكر اوجه الصواب فيها . وقد اختلست فرصة لذكرها وهي :

(٤٦) مشقوقات اليد . — ج ٤ ص ٥٢ البُرْثُنيات Fissipida . قلت في هذه الترجمة غلط واضح . فالكلمة الاعجمية معناها مشقوقة اليد (او الرجل او القائمة) . وهي تطلق على ثدييات ذوات حوافر (او اظلاف) رجلها مشقوقة في منتصفها كالبقر والغنم والإبل والخنزير الخ . أما البرثن في العربية فالكف مع الاصابع ، ومخلب الأسد ، اوهو للسبع كالاصبع للانسان . ويتضح من ذلك ان كلمة البرثنيات لا تصلح بتاتاً للدلالة على الحيوانات التي تعنيها الكلمة الأعجمية . ولو قالوا ظلفيات لكان لهذا القول وجه .

(٤٧) مُجنَّحات اليد . — ج ٤ ص ٥٣ الخُفّاشيات Chiroptera . قلت ترجمة الاسم العلمي مجنحات اليد . ويجب الاحتفاظ بهذه الترجمة المشهورة لكي تستعمل الخفاشيات اي فصيلة الخفافيش مقابل Vespertilionidés

(٤٨) مُفرَدات الاصابع . — ج ٤ ص ٥٣ الحافريات Perissodactyla . قلت الكلمة الاعجمية هذه معناها مفردات الاصابع . وهي تطلق على رتبة من الثدييات ، سميت كذلك لأن لها أصابع مفردة احداها ، وهي الوسطى ، قد نمت اكثر من رفيقاتها . وهذه الرتبة تشمل الخيليات والكركدنيات والتابيريات .

وثمة رتبة ثانية تسمى Artiodactyles أي مزدوجات الاصابع . وهي تعرف بأصابع مزدوجة ، منها المجترات Ruminants وفيها فصائل عديدة كالجمليات والغنميات والبقريات والزُّرَافيات والأيليات الخ . ومنها الجَسْئيات (من الجَسْء وهو

الجلد الصلب) وتسمى صفيقات الجلود Pachydermes واليها ينسب الخنزير ·

ويوجد رتبة ثالثة وهي الخرْطوميات Proboscidiens منها الفيل ·

والذي جعلني أذكر هذه الرتب الثلاث هو انهم يجمعونها في حلقة واحدة يسمونها Ongulés وهي من اللاتينية Ungula بمعنى الحافر · فالحافريات اذن تصلح للدلالة على Ongulés هذه · اما الرتب الثلاث فيجب ان نترجم أسماؤها بما ذكرته ·

واذا قيل ان الحافر بالعربية لا تشمل رجل كل هذه الحيوانات أجبنا بأنها (أي كلمة الحافر) لا تشمل أيضاً رجل الكركدّن مثلاً وهو من مفردات الاصابع التي سماها مجمع مصر الحافريات · ففي وضع المصطلحات العلمية لا يمكن التقيد دائماً بحرفية المعاجم ، وهو أمر معروف ·

(٤٩) تعدُّد الخلايا · — ج ٢ ص ١٦٧ التعدُّدية Multicellularity · قلت الترجمة الصحيحة هي تعدد الخلايا · أما التعددية فلا معنى لها هنا ، ولا يفهمها أحد · والدليل على ذلك انهم ترجموا Multicellular بقولهم متعدد الخلايا لا بكلمة متعدد وحدها (ج ٢ ص ١٦٦) ·

وهنا يجب أن ننبه مجمع فؤاد الأول الى قضية هامة وهي ان حرصه على ايجاد كلمة عربية واحدة لكل كلمة علمية اعجمية هو حرص كثيراً ما يكون في غير محله · فالاوربيون يستطيعون ان ينحتوا كلمات مفردة من اللاتينية واليونانية · اما نحن فليس بوسعنا دائماً ان ننحت كلمات ثقيلة لا يفهمها احد ، كما انه ليس بوسعنا دائماً ان نجتزئ بأحد جزئي الكلمة الاعجمية ، فنترجم معنى جزء واحد ، ونطرح الجزء الآخر · ولنأخذ كلمة Cheiroptères التي مر ذكرها مثلاً · فهي من اليونانية Cheïr اي يد و Ptéron أي جناح · والمراد المجنحات اليد اي ذوات الأيدي المجنحة · وهي الوطاويط والخفافيش التي استطالت أيديها وامتد بينها غشاء فصارت تستعمل للطيران كأجنحة الطيور ·

فالطالب الفرنسي او المثقف الفرنسي الذي يقرأ هذه الكلمة الفرنسية يدرك على

الفور مدلولها ، لأنه يدرس مبادئ اليونانية واللاتينية وأصول الكلم الفرنسية في مدارس التجهيز . وهكذا حاله تجاه سائر الاسماء العلمية . أما الطالب العربي فانه اذا قرأ كلمة منحوتة من كلمتي جناح ويد مثل (جَنْيَدِيات) وامثالها من الرطانات فماذا يفهم ؟ واذا اجتزأتَ بأحد جزئي (مجنحات اليد) فقلت(مجنحات) او قلت (يَدَوِيات) تكون قد أضعت معنى الكلمة الفرنسية باطراحك نصفها . اما اذا قلت مجنحات اليد فقد بلغت المراد . ويجب ان يعلم اعضاء مجمع فؤاد الاول ان اللغة العربية لغة اختزال ، وانه لا يضيرها في كثير من الاحوال كون الكلمة الفرنسية الواحدة يعبر عنها بكلمتين عربيتين . فحروف(مجنحات اليد) ليست اكثر من حروف Cheiroptères وحروف (تعدد الخلايا) أقل من حروف Multicellularity

ويتضح من ذلك انه لا لزوم لكلمة التعددية اي لهذا المصدر الصناعي الذي معناه التعدد Multiplicité . ولا لزوم للحرص في غير محله على ترجمة كل اسم علمي منحوت من كلمتين او اكثر ، بكلمة عربية واحدة ناقصة لا تؤدي معنى ذلك الاسم العلمي . وأمثلة هذه الكلم العربيات الناقصة كثيرة في مجلة مجمع فؤاد الأول وسأذكر بعضها فيما يلي .

(٥٠) القطار الفاخر . — ج ٢ ص ١٢٤ الفاخر Train de luxe . قلت الصحيح القطار الفاخر . فأنت لا تقول ركبت الفاخر ولا نزلت من الفاخر ولا مرّ الفاخر بل لا بد لك من ذكر القطار في كل من هذه الجمل . وهكذا الحال بالفرنسية .

(٥١) القطار السريع والقطار الوَقّاف . — ج ٢ ص ١٢٤ السريع Express والوَقاف Train-omnibus قلت يقال للأول القطار السريع وللثاني القطار الوقاف للاسباب التي ذكرتها في المادة السابقة .

(٥٢) أحادي الخلية . — ج ٢ ص ١٨٨ الأُحادي — الأُحادي الخلية Unicellular قلت الترجمة الصحيحة هي أحادي الخلية . أما أُحادي فلا وجه لها بتاتاً للاسباب التي مر ذكرها . واذا اعترض أحدهم بقوله إن لفظة (أُحادي) هنا تصبح في الاستعمال

علماً لأحادي الخلية ، أجبناه بأن ذلك غير وارد . فأحادي لفظ ينعت به أسماء عديدة ، فلا يجوز أن يكون علماً لأحدها . مثاله Unicole أحادي الساق او وحيد الساق و Unicolore أحادي اللون و Unicorne أحادي القرن و Unisexuel أحادي الشق الخ الخ . فبأي هذه الأسماء العديدة يجب ان نخص لفظ أحادي على رأي المتحذلقين ؟ ولماذا نجعل الأحادي علماً لأحادي الخلية ولا نجعلها علماً لعشرات الأسماء الاخرى ؟

(٥٣) شوكيات الجلد . — ج ٤ ص ٥٥ الشوكيات Echinodermata . قلت هي شوكيات الجلد . وقد كنت ذكرت الشوكيات وشوكيات الجلد جميعاً في مقالي الذي عنوانه (الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا) والمنشور في عدد أيار (مايو) سنة ١٩٣٥ من المقتطف . لكن الأصلح شوكيات الجلد . أما شوكيات وحدها فناقصة . ومع هذا ربما التمس لها وجه ، خلافاً للكلمة السابقة .

(٥٤) النَقيعيات . — ج ٤ ص ٤٩ النَقْعيات Infusoria . قلت الصحيح النقيعيات نسبة الى النقيع اي المنقوع . وقد سُميت هذه الحيوانات المجهرية بالاسم المذكور لأنها تكثر في نقيع المواد النباتية والحيوانية وتغتذي بها .

(٥٥) سُرعوبيات . خَزِيات . سَمّوريات . — ج ٤ ص ٥٢ : العِرْسيّات mustelidae . قلت كلمة العرسيات هنا منسوبة الى ابن عرس . ولكنها قد تكون أيضاً منسوبة الى عِرْس وهي لبؤة الأسد . ويعرف اللغويون ان اسماء المعرفة المركبة كابن عرس وابن آوى لا تنصرف ، وانه يكره فيها (أولا يجوز في رأي بعضهم) فصل (ابن) عن (عرس) وعن (آوى) . ومن المعروف ان النسبة الى المضاف اليه فيها صحيحة . ولكن ما للمجمع ولهذا التعرض للالتباس بأن تكون العرسيات نسبة الى ابن عرس والى عرس جميعاً ، وقد سهل عليه صاحب معجم الحيوان الأمر بقوله فصيلة السراعيب نقلاً عن الأب أنستاس بأن السرعوب هو ابن عرس كما في كتب اللغة . فكان على المجمع أن يسمي الفصيلة سرعوبيات . أما انا فأرجح خزيات

أو دَلقيات او سموريات لأن الخز والدلق والسمور من جنس Mustela الذي تنسب اليه الفصيلة . اما ابن عرس فهو من جنس Putorius القريب من الاول .

(٥٦) الأموال الموقوفة لا الموات . — ج ٤ ص ١٥٠ : الأموال الموقوفة Biens wakfs (Mortes) قلت كلمة Mortes الفرنسية زائدة وفي غير محلها ، لأنها في قانون الاراضي تدل على نوع من الأرضين تسمى بالعربية الخالية والمباحة والموات ، وبالفرنسية Immeubles libres و Terres mortes أما الأموال الموقوفة فشيء آخر معروف . وليس هنا مجال تعريف هذه الأشكال من الأموال وتفريق بعضها عن بعض .

(٥٧) الطُحلب والأُشْنَة والحزاز . — ج ٤ ص ١٧ الطحالب Alga(Pl.Algae) قلت لقد خلط العرب في القديم كما خلطنا في الحديث مدلولات Mousse و Algue و Lichen بعضها ببعض . وقد انعمت النظر كثيراً في هذا الموضوع وكتبت فيه بضع صفحات . وانتهيت الى ان اصلح ترجمة للكلمات الفرنسية الثلاث المذكورة هي طحلب Algue وأشنة Mousse وحزاز او حزاز الصخر Lichen .

(٥٨) سُنيبلة . سَفاة . شُعاعة . — ج ٤ ص ٥٨ الشوكة Spicule . قلت الكلمة الفرنسية من Spicula اللاتينية أي السُنيبلة تحقير سُنبلة . وهي تطلق على قطع صغار صلاب كلسية او صوانية او قرنية على شكل إبرة او شوكة او صليب او نجمة او مرساة او غير ذلك . ومنها يتألف هيكل الاسفنج . وتوجد في غير الاسفنج كالشعاعيات . فتسمية واحدتها بالشوكة غير مستحسن ، لأن الشوكة تستعمل لمسميات أخرى نباتية وحيوانية ذكر المجمع أحدها في ج٤ ص١١٩ فقال (شوكة — Spine) ، ولأن هذه القطع قد تكون غير شائكة في بعض الحيوانات . فعلى هذا يرجح اما ترجمة Spicule بسنيبلة ، واما استعارة كلمة سفاة او شعاعة وهما بالفرنسية Barbe اي ما نسميه حسك السنابل في الحنطة والشعير وهما أصلح .

(٥٩) الجبلة . — ج ٤ ص ١٢ الجبلة الحيوانية Sarcode . قلت في معجم

التاريخ الطبيعي الذي كنت اشرت اليه ان هذه الكلمة مرادفه لكلمة Protoplasme اي الجبلة · فتكون لفظة الحيوانية زائدة ·

(٦٠) جدار الخلية · — ج ٢ ص ١٣٨ القَيْض — جدار الخلية Cell wall · قلت هو جدار الخلية · اما القيض فقشرة البيضة اليابسة · ووضع كهذا على التشبيه لا يجيزه احد · وكنت متفقاً والدكتور امين باشا المعلوف على هذا الرأي · واظنه قد سبقني الى بيانه في المقتطف ·

(٦١) شَذَاة لاسعة · — ج ٤ ص ٥٦ العَذَّام البقري glossina morsitans · قلت هذه الحشرة من فصيلة الذبّان Muscidés ورتبة ذوات الجناحين من الحشرات · امـا العذام فهو بالعربية البرغوث (القاموس) · والبرغوث من فصيلة البراغيث Pulicidés عديمات الاجنحة ، فهو بعيد عن الذباب · ولهذا وجب ان نفتش عن كلمة مهجورة من كلمـات الذباب فنطلقها على هذه الحشرة التي تسمى ذبابة تسي تسي Mouche Tsé - Tsé والتي توجد في افريقيا ولا توجد في بلاد العرب · فاذا راجعنا المخصص نجد فيه ان الشذاة (ج شذاً) ذبابة تلسع الابل والكلاب والخيل وانها اسم عام على الذباب الخ · ولما كانت هذه الكلمة مهجورة على ما نعلم جاز لنا اطلاقها على جنس الذبابة التي نحن بصددها · ونعتها باللاسعة دلالةً على نوعها وترجمةً للكلمة العلمية الدالة على النوع · ولا وجه لنعتها بالبقرية لأن هذا النوع يلسع البقر وغير البقر من الحيوانات الدواجن ·

وعلى ذكر هذه الذبابة نقول ان المجمع وضع كلمة عذَّاميات امام Trypanosomes واذا جوزنا هذه التسمية يصبح اسم هذه الحيوانات المجهرية شَذَويات اي الحيوانات التي تنقلها ذبابة الشذاة · وهو تخريج بعيد عن الصواب · فلا الشذويات ولا العذاميات بصالحتين للدلالة على الحيوانات المذكورة · والأصلح ترجمة المعنى الاصلي لاسمها الفرنسي فهو من اليونانية Trupanê أي بَرِيَة ومِثقب وأُشْرة وطَوَى وغيرها ، ومن Sôma اي جسم · فعلى المجمع اذن ان يسميها بَريِيـات او مثقبيات او أُشريات · ولعل الثانية أصلحها ·

(٦٢) بعض الغلطات المطبعية :

جزء وصفحة	خطأ	صواب
٤ — ٥٢	Scuiridae	Sciuridae
٤ — ٢٣	vert émraude	vert émeraude
٢ — ١٥٤	Crustocea	Crustacea
٤ — ٥١	العالم الطِفَيْلي	العالم الطُفَيلي
٤—١٤	البَنْقْراس	البَنقِراس

الخ . والبنقراس هذه تكتب بياء قبل الألف اي بنقرياس . ثم لا لزوم لها مادام يعرف لمدلولها اسماء عربية كالحلوة والمِعقَد .

عود الى علم الحياة . — زارني أحد الاساتيذ النبهاء وقال لي انه لم يتبين الفرق بين قولنا علم الحياة وعلم الأحياء بمعنى Biologie . وكان امامي كتاب فرنسي في علم الخيل أقرأ فيه بحثاً عنوانه Biologie du cheval . فقلت له دع جميع الاسباب الجوهرية التي سردتها في أول كلمة من كلمات بحثي هذا [1] وأجبني بماذا تترجم هذا العنوان ؟ أو نقول معي علم حياة الفرس وهي الترجمة الصحيحة لفظاً ومعنى ، ام نقول مع مجمع فؤاد الأول علم أحيــاء الفرس ، او علم الفرس الأَحيائي ، او علم الأَحياء الفرسي ، او علم الاحياء المقتصر على الفرس او غير ذلك من التعابير التي تبعد عن الحقيقة ؟ فاكتفى الاستاذ بهذا المثال .

وقد وجدت اخيراً اصطلاحات أخرى فيها نظر ربما ذكرتها في الاجزاء التالية . وأعود فأقول ان مجمع فؤاد الأول قد خدم العربية خدمة جلى ، وان امامه مجالاً لاصلاح الاغلاط وتعديل المصطلحات وفاقاً لقراره الحكيم في هذا الصدد . وفقنا الله واياه لخدمة لغتنا الضادية .

مصطفى الشهابي

(١) انظر ذلك في عددي ايار وحزيران من هذه السنة .

كلمة الاشتيام

قرأت في الصفحة ٢٤٥ من الجزء ٦ من المجلد ١٧ من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق كلمة للاستاذ المغربي عنوانها : كلمة الاشتيام في شعر البحتري . ولقد رأيته أغرب في مواطن من هذه الكلمة منها

١ — جعله احمد بن دينار رئيس المركب ورئيس الملاحين .

٢ — قوله ان البحتري أطلق لفظة الاشتيام على احمد .

٣ — تهكمه ببيت البحتري الذي فيه لفظ الاشتيام وتشبيهه اياه بقول القائل

كأننا والماء من حولنا   قوم جلوس حولهم مـاء

٤ — قوله وليس شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا تحليل كلمة الاشتيام الواردة في شعره .

٥ — وهو أغرب ما فيها ما تكلفه من الوجوه لجعل الاشتيام محرفة عن الاشناء . ولا بد لايضاح الحقيقة الناصعة بحسب ما نراه من ذكر امور نتبين بها قيمة هـذا البيت وقيمة القصيدة التي هو منها وقيمة الشاعر الذي نظمها

البيت

ورد هذا البيت بروايات مختلفة فقد جاء في ديوان البحتري المطبوع في بيروت على هذا الوجه .

يغضون دون الاشتيام عيونهم   وقوف السماط للعظيم المؤمر

وهو الذي ذكره الاستاذ في كلمته هذه . ورواه ابو العلاء في عبث الوليد ص ١٠٣ والشريف المرتضى في أماليه ج ٣ ص ٥١ . دون الاشتيام .. وفوق السماط .. ورواه ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ دون الاستنام . وفوق السماط .. وروى صاحب نهاية الارب في ج ٦ ص ١٩٧ اكثر هذه القصيدة ولم يذكر هذا البيت .

ومما لا شك فيه ان في رواية العسكري دون الاستنام تحريفاً من النساخ . وان أقرب الروايات الى براعة البحتري وحذقه رواية المعري والمرتضى . دون الاشتيام

تفسير البيت

غض — يقال غض بصره وطرفه اذا خفضه وكسره ويقال غض طرفه اذا دانى بين جفونه ونظر . وغض الطرف بهذا المعنى من الصفات المحمودة ففي الحديث كان اذا فرح غض طرفه أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه . يفعل ذلك ليكون أبعد من الأشر والمرح . ويقال فلان غضيض الطرف نقي الظرف والعرب تمدح بهذه الخلة قال الفرزدق:

يغضي حياء ويغضى من مهابته

وأغضى وغض بمعنى واحد أي دانى بين جفونه . وغض الطرف بين يدي العظيم امارة على الطاعة وحسن الادب وقد قال ابن عباس في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى . مازاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به . وعلى هـذا المفسرون . وقال ابن قيم الجوزية في التبيان ص ٢٦١ نفى عن نبيه ما يعرض الرائي الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام ... اذ لم يلتفت جانباً ... بل قام مقام العبد الذي أوجب ادبه اطراقه واقباله ... وهو مع ذلك يدل على عظمة من يغض الطرف دونه .

الاشتيام

ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من أهل اللغة لم يذكروا كلمة الاشتيام وان البحريين الذي يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام ولم يجزم بأنها عربية او اعجمية وانما قال اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وهمزتها حينئذ همزة وصل وبين وجه التسمية بالمصدر . وان كانت أعجمية فهمزتها همزة قطع وعلى الاول يكون في البيت زحاف . هذا كل ماذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الاصل وانما هي من وضع المتأخرين .

وقد قال صاحب اللسان الاشتيام رئيس الركاب وفي التاج رئيس الركاب والملاحين

السماط

جاء السماط بمعنى جانب الشيء وبمعنى صدر الوادي الى منتهاه وبمعنى الصف من الناس يقال قام القوم حوله سماطين اي صفين وكل صف من الرجال سماط

وقد ذكرنا ان البيت روي على وجهين · وقوف السماط · وفوق السماط ونزيد الآن ان فاعل يغضون في هذا البيت لم يتقدم له مرجع معين في كلام البحتري فان كان يريد الملاحين فهو يصفهم بالادب وغض الطرف امام رئيسهم ووقوفهم له وقوف السماط بين يدي الامير العظيم احتراماً له هذا على الرواية الأولى : وقوف السماط وهذا معنى غير غث ولا مستهجن لأن المعروف ان الذين يقفون سماطاً للأمير يتأدبون أمامه ويعظمونه حتى جعلوا مثلاً على ما تبين لك من كلام ابن القيم السابق والملاحون قد يكونون على غير هذا الوجه ولذلك مدح البحتري هؤلاء ونعتهم بما يدل على الادب والاحترام امام الاشتيام ·

وعلى الرواية الثانية : وفوق السماط يكون المعنى انهم يغضون ابصارهم في موضعين أمام رئيسهم الاشتيام · وبين يدي الامير فوق السماط اي جانب السفينة أو ما بين صدرها ومنتهاها ·

وان كان البحتري يريد الجند والمقاتلين الذين معه في السفينة فهو يصفهم مع شجاعتهم باحترام الاشتيام وغض العيون بين يديه ووقوفهم له وقوف السماط للامير على الرواية الاولى · ويصفهم بغض العيون في موضعين كما تقدم على الرواية الثانية · وقد جاءت كلمة دون بمعنى امام وقدام

ومثل هذا التشبيه لا ينكر ولا يعاب الا ترى انك لو قلت تلاميذ فلان او بنو فلان يقفون بين يدي استاذهم او ابيهم وقوف السماط للامير العظيم ويغضون أبصارهم امامه لكان ذلك حسناً مستحسناً · ومن هذا يتبين لك ان بيت البحتري هذا لا يشبه قول القائل : (كأننا والماء من حولنا ·) بوجه من الوجوه على أي تأويل أولته او محمل حملته

الاغلاط في البيت او القصيدة او شعر البحتري

اذا تأمل الانسان قول الاستاذ ··· وليس من شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الاغلاط ··· خيل اليه ان شعر البحتري كله غل قمل اوجرح نغل او أديم تعيث فيه الديدان والقردان · وقد استعرضت ابيات هذه القصيدة كلها وأعدت النظر فيها مرة بعد أخرى فما رأيت فيها شيئاً من الغلط ولا من السقط وانما كنت أرى في كل بيت نوعاً من الروعة والجمال يخيل الي ان

الحسن انتهى اليه ووقف عنده فما له متقدم عنه ولا متأخر فاذا انتقلت الى البيت الذي يليه انتقل هذا الظن اليه واعتقدت فيه ما اعتقدته في سابقه فلما انتهيت الى آخر القصيدة وجدتها كأنها حديقة غناء تضم انواعاً من الازاهير الجامعة بين الألوان الرائعة والريح الطيبة وفيها من حسن الترتيب والتنسيق والبراعة في الصناعة مالا يستكثر مثله على البحتري ولا يتأتى لغير البحتري

القصيدة في رأي المتقدمين

ولقد رأى مثل ما رأيت وفوق ما رأيت في هـذه القصيدة من الروعة والدقة والاحكام والجودة وجمال الديباجة وحسن التشبيه والاستعارة وغير ذلك من ضروب المحاسن وأنواع المحسنات جماعة من المتقدمين من اعلام الادباء وجلة العلماء العارفين دقائق الصناعة والواقفين على اسرار البلاغة منهم عبد الله بن المعتز وابو هلال العسكري والشريف المرتضى والخليفة المكتفي بالله وجماعة كثيرون .

قال ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ ولم يصف احد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب الا البحتري أخبرنا به ابو احمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها . وقصيدته في البركة . ميلوا الى الدار من ليلى نحييها . واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها وقصيدته في دينار [1] بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه احد قبله اولها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) ووصف حرب المراكب في البحر لكان اشعر اهل زمانه فكيف اذا اضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته

غدوت على الميمون صبحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر

(١) كذا في ديوان المعاني .

وقال في نهاية الارب ج ٦ ص ١٩٧ بعد ان نقل شيئاً من كلام العسكرى ·· وعدوا قصيدته هذه من عيون قصائده وفضلوها على كثير من الشعر ···

اما شعر البحتري فمن الاسراف ان نذكر ما قاله العلماء والائمة في مدحه واطرائه وكتب الادب طافحة بما يغنينا عن الاطالة فيه وهذا ما حملنا على ان ننكر على الاستاذ المغربي كلمته المتقدمة على ما فيها من الايهام والابهام

ويزداد انكارنا عليه في هذه القصيدة المقولة في غرض لم يتقدم ابا عبادة احد من الشعراء في ابتكاره ولم يشق احد من المتأخرين غباره فيه ·

واذا استطاع ابو العلاء واضرابه ان يعثروا على بعض الخطأ في كلام البحتري · فليس ذلك بمسوغ ان يقال ان الاغلاط تعيث في شعره والمثل يقول لا تعدم الحسناء ذاما والآخر يقول كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

أما ما ذكره ابو العلاء في عبث الوليد في هذا البيت فخلاصته ان لفظ الاشتيام اذا كان عربي الاصل فان همزته همزة وصل وعلى هذا التقدير فان في البيت زحافا · ونحن نقول يلزم على التقدير المذكور أحد امرين اما قطع همزة الوصل في اشتيام وحينئذ يسلم الحشو من الزحاف ويبقى في العروض وهو واجب · واما ابقاؤها وصلية وحينئذ يكون الجزء الثاني من الحشو والعروض مقبوضين · وكلاهما وقع في كلام المتقدمين اما الاول فكقول قيس بن الخطيم

اذا جاوز الاثنين سر فانه ... بنث وتكثير الوشاة قمين

وقول جميل

ألا لا أرى اثنين احسن شيمة ... على حدثان الدهر مني ومن جمل

وقول الآخر

مناقب في الجلاح كانت قديمة ... فسار عليها ابنه يتتبع

وأما الثاني فكثير في كلام العرب كقول امرئ القيس في معلقته

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

ومر على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم من كل موئل

وقوله في سينيته

مغرثة زرقًا كأن عيونها   من الذمر والايحاء نوار عضرس

وقوله في تائيته

وعنس كألواح الإران نسأتها   على لاحب كالبرد ذي الحبرات

وقوله في رائيته

كأن صليل المروحين تشذه   صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقوله في ضاديته

وقد اغتدى والطير في وكناتها   بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقوله في نونيته

على هيكل يعطيك قبل سؤاله   أفانين جري غير كز ولا وان

وقوله في بائيته

كأن عيون الوحش حول خبائنا   وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله في لاميته

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد اجفال

وقول طرفة

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

وقول النابغة في بائيته

فلا تتركني بالوعيد كأنني   الى الناس مطلي به القار اجرب

وقوله في عينيته

فانك كالليل الذي هو مدركي   وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقول الشنفرى

أقيموا بني أمي صدور مطيكم   فاني الى قوم سواكم لأميل

وقول زهير في معلقته

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولاً لا اباللك يسأم

الى غير ذلك من الأبيات التي لا تكاد تحصى وكلها وقع فيها قبض العروض والحشو الذي قبلها كما وقع في شعر البحتري على تقدير ان الاشتيام عربية وقلما سلمت قصيدة للمتقدمين والمتأخرين من ذلك ومنهم ابو العلاء واذا وعيت ما ذكرنا اتضح لك ان أبا عبادة احتذى على مثال الشعراء المفلقين وطبع على غرار النوابغ المفيقين . وان بيته هذا لم يعث فيه شيء من الاغلاط

أما قول الاستاذ المغربي . [احتمال ان تكون الاشتيام عربية احتمال بعيد . واستدلاله على ذلك بأمرين الأول ان المعاجم لم تذكر في مادة شام ان الاشتيام امم لرئيس المركب ... والثاني ان اشتام البرق لم يرد بمعنى شامه فهي في غالب الظن اعجمية ...]

ففيه نظر من وجوه منها ان كتب اللغة لم تحط بكل مفرداتها وكثيراً ما استدرك اللاحق على السابق ومنها ان اكثر كتب اللغة لا تستوفي ذكر المشتقات . ومنها ان اللغويين كثيراً ما يغفلون ذكر الكلمة في مادتها ويذكرونها في غيرها عرضاً أما الأول فلا يحتاج الى تمثيل ولا الى اقامة دليل وأما الثاني فمثاله لفظة تكشر فانها وردت في قول الفرزدق

فقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفي من يدي بمكان

ولم يذكرها اللسان ولا القاموس ولا التاج ولا الصحاح ولا المصباح ولا الاساس ولا النهاية ولا مختار الصحاح ولا مفردات الراغب ولا . ولا . مع أنها مشتقة من المزيد على الثلاثي بحرفين

ومثال الثالث لفظ الخصائص فقد ورد في نهج البلاغة في خطبة لعلي رضي الله عنه وسمى به جماعة من العلماء كتبا لهم منها : خصائص في فضل علي رضي الله عنه للنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ومنها خصائص الطرب لكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ ومنها الخصائص لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ومنها خصائص السواك لأبي الخير احمد القزويني ومنها الخصائص النبوية للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وغيرها .

وان أصحاب كتب اللغة المذكورين آنفاً لم يذكروها في مادة خص . وانما ذكرها

كل من صاحب اللسان والتاج والنهاية في مادة ضن فهي شبيهة بالاشتيام من هذا الوجه

ولو كان ابو العلاء يعلم انها غير جائزة لذكر ذلك عند كلامه على هذا البيت واذا كان ابو العلاء يجهلها على شدة اضطلاعه وسعة اطلاعه وطول باعه فان رحمة الله التي وسعته لا تضيق عن البحتري اذا جهلها وهو أقل منه اطلاعاً على اللغة وانزر حفظاً لفصيحها وغريبها ·

على ان الاستاذ المغربي ذكر في مقالته هذه لفظ تحليل في ص ٢٤٦ سطر ٢ و ١٤ وأعادها في ص ٢٤٧ سطر ٤ وكذلك ذكر لفظ المعاجم ص ٢٤٦ سطر ٣ وص ٢٤٧ س ٦ وذكر لفظ العجالة ص ٢٤٦ س ١ ولم يذكر احد من اللغويين الذين سبق ذكرهم واحداً من تلك الالفاظ بالمعنى الذي يريده الاستاذ منه ولا وقع في كلام أحد ممن يوثق بعربيته فهلا وسع البحتري في كلمة واحدة ما وسع الاستاذ في ثلاث كلمات وكلمة البحتري أقرب الى الصحة منهن · واذا كانت الاغلاط تعيث في شعر أبي عبادة من أجل كلمة واحدة فماذا يجب ان يقال في مقال الاستاذ وفيه اكثر من كلمة والبحتري في شعره مقيد بوزن وقافية وليس في قصيدته شيء من كلام غيره

وبهذا القدر يظهر ان الاستاذ أسرف في الغض من كرامة البحتري واشتط في الحكم عليه وعلى شعره · هذا ما يتعلق بالاشتيام والبيت الذي ذكر فيه والقصيدة التي هو منها

هل كان أحمد بن دينار رئيساً للملاحين

ذكرنا ان الاستاذ المغربي جعل احمد بن دينار رئيس المركب مرة ورئيس الملاحين أخرى وقال · ان البحتري اطلق لفظ الاشتيام عليه ·

ولم أر احداً ذكر ان احمد بن دينار كان رئيساً للملاحين في المركب وان ما وقع في كلام القوم لا يدل على ذلك ·

فقد قال الشريف المرتضى انه غزا الروم في مراكب · ولا يتأتى بحسب العرف ان يكون رجل واحد رئيساً للملاحين في مراكب بل في مركب واحد

وفي ديوان البحتري · وقال يمدح احمد ··· ويصف مركباً كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم ·

وقال البحتري في هذه القصيدة .. ولما تولى البحر .. وحولك ركابون للهول .. تميل المنايا ... اذا أصلتوا حد الحديد .. اذا رشقوا بالنار .. صدمت بهم صهب العثانين ... تقارب من زحفيهم ...

والمعروف ان الذي يقاتل في البحر أمير الجند بالجند لا رئيس الملاحين بالملاحين لأن هؤلاء يعملون في تسيير السفينة لا في مقاتلة الاعداء

وكثيراً ما وقع في كلام المتقدمين . غزا فلان البحر وغزا فلان جزيرة كذا وهم يريدون انه كان أميراً او رئيساً للغزاة لا للملاحين قال ياقوت ارواد جزيرة غزاها المسلمون مع جنادة في أيام معاوية . وقال احمد بن جابر غزا جنادة بعد فتحه جزيرة أرواد اقريطش . وقال ياقوت غزاها حميد بن معيوف . وقال ياقوت غزا معاوية قبرس ورودوس .. ولم يحدثنا التاريخ ان معاوية كان ملاحاً ولا رئيساً للملاحين

فاذا عرفنا هذا تبين لنا ان احمد بن دينار كان والي البحر ورئيساً او أميراً على الجند الذي كان يحارب به الروم وليس رئيساً للملاحين ولا اشتياماً

جعل أشنا أصلاً لاشتيام

لقد أفاض الاستاذ في البحث عن أصل كلمة اشتيام وردها الى اشنا الاعجمية ولكن ما ذكره من المراحل التي قطعتها هذه الكلمة في نشأتها وما تعاقب عليها من الأطوار من تنكير وتعريف وتغيير وتحريف وزيادة ونقص وتحويل الهمزة الى ميم ذات ذنب قصير ونحو ذلك من ضروب العمليات كله قائم على الظن لا يعهد له نظير فيما عرب من الالفاظ الاعجمية ولو ساغ مثل هذا في الاشتيام لجاز لنا ان نقول انها محرفة عن الاستيار بمعنى الامتيار او الاستيار المأخوذة من معنى السير . او الاشتيار بمعنى أخذ العسل من خلاياه او . او ..

ولكان جعلها محرفة عن مثل هذه الكلمات أقرب الى فهم ما يراد منها وأقل تكلفاً وتغييراً وتحويلاً مما ذكره .

على أننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل هذا ما بدالي في كلمة الاشتيام وعسى ان يكون بريئاً من الغلط بعيداً من الشطط ان شاء الله تعالى

سليم الجندي

ردنا على المقال السابق

من أسوء ما نشكو ونألم منه عقم مناظراتنا العلمية . وانصرافنا عنها الى الإطالة في ما لا علاقة له بموضوعها . ولا يحقق الغرض منها . ويكاد يكون ردُّ الاستاذ الجندي علينا من أوضح الأمثلة على ذلك :

كتبنا اربع صفحات في الجزء الماضي مهدنا فيهـا الطريق الى الاستنجاد بالزملاء على معاونتنا في تعيين اللغة التي أخذت منها كلمة (الاشتيام) الواردة في شعر البحتري إن كانت أعجمية . ومن أي مصدر اشتقت إن كانت عربية . فكتب الاستاذ الجندي زهاء عشر صفحات لا في معاونتي على ما طلبته منه وانما هو (فتح جبهات) جديدة في الجدل حول مسائل لغوية وأدبية وعروضية وتاريخية لا ناقة لموضوع مقالي فيها ولا جمل . ولا يخطر في بال أحد أن أكون ممن يشك أو ينازع فيها . وفوق ذلك ان الاستاذ نسب اليَّ أشياء لم أقلها : مثل أن في بيت البحتري عيباً عروضياً . وردَّ عليَّ بان في أشعار البلغاء مثله . وذكر سبعة عشر بيتاً فقط شاهداً على ما قال . وأنا غافل القلب عن هذا البحث بل ربما كنت أعتقد اعتقاده فيه .

أما كلمة (الاشتيام) نفسها التي أتساءل عنها وعقدت مقالي لأجلها فلم يهتم الاستاذ بها ولم يرد أن يُتعب نفسه في استقصاء البحث عن أصلها او بيان شيء جديد مفيد غير ما قلته ورويته عنها :

قلت في مقالي المذكور ان الاشتيام يكون بمعنى رئيس المركب كما يكون بمعنى رئيس الملاحين وتساءلت أعربية هي ؟ ونقلت عبارة ابي العلاء المعري في (عبث الوليد) وقد صرح فيها باحتمال أن تكون أعجمية . فرجحت أن تكون أعجمية من اصل فارسي . وخطر لي احتمال أن تكون محرفة من كلمة (الآشنا) بمعنى الخبير بالسباحة . ولم ارد بذلك الا تمهيد الطريق بين يدي الباحثين إلى معرفة الحقيقة بدليل ما قلته في ختام مقالي وهو : (نعتمد على هذا الحل في تحقيق كلمة (الاشتيام) ريثما نقع على نسخ أخرى لاشعار البحتري ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان نتبين منها

حقيقة كلمة (الاشتيام) واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة) فالاستاذ الجندي شُغل عن معاونتي بنقد كلماتي التي جاءت عرضاً في تمهيدي ومقدماتي . وانتهى من معرفة (الاشتيام) الى مداورتنا على الجهل بها . وان نبقى على الحيرة من أمرها . بدليل قوله في ختام رده علينا وهذا نصه بالحرف (على اننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل) ثم قال (هذا ما بدالي في كلمة (الاشتيام) . وبذلك انتهى مقاله .

أما ما ذكره ابو العلاء وقال الاستاذ الجندي ان فيه غنية (او فيه رقية !) فهو قوله وننقله من مقاله (ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من اهل اللغة لم يذكروا كلمة (الاشتيام) وان البحريين الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب (الاشتيام) ولم يجزم ابو العلاء بأنها عربية او اعجمية وانما قال : اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وان كانت اعجمية فهمزتها همزة قطع) ثم قال الاستاذ الجندي (وهذا كل ما ذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الأصل انتهى) هذا رأي ابي العلاء الذي ينصح لنا الاستاذ الجندي أن نستغني به ثم لا نعيد ولا نبدي . ولكن اساطين نهضتنا الحاضرة يريدون منا غير هذا التحقيق عن آثار السلف وتحرير نصوصها كي يتسنى لنا ان نبني ادبنا الجديد عليها على مثال ما فعله الاب انستاس الكرملي في تحقيق كلمة (الاشتيام) : فانه قد ارسل الى ادارة المجمع مقالاً مسهباً لم يخرج فيه عن صدد تحليل تلك الكلمة . وقد وصل الينا مقاله مع مقال الاستاذ الجندي وسننشره له في الجزء القادم . وهذا ما قاله الاب (ان في كتاب العين وهو اقدم معجم عربي ما نصه (والاشتيام رأس ملاحي السفينة وهو بالنبطية اشتياما ا هـ) اي بألف مقصورة في آخره

* * *

آن ان اختم القول وادع الاطالة لئلا اقع في ما نهيت عنه . غير ان هناك ثلاث مسائل أرى من الواجب ان انصف نفسي فيها ما دامت قد حُرمت انصاف الآخرين فاذكرها بايجاز وهي :

١ — لم آت نكراً مذ قلت ان الاغلاط تعيث في اشعار البحتري وهذا ابو العلاء المعري ألف كتاباً خاصاً عدّد فيه أغلاط البحتري في نحو اربعمائة بيت من شعره وسماه (عبث الوليد) . والعبثُ وصفُ سوء ابشع من وصف الغلط . بل كان (ابو العلاء) احياناً يذكر في كتابه اغلاط البحتري ويعبر عنها بقوله (عجائب) : عابه في زحافٍ عروضي مرةً ثم قال ما نصه (ولأبي عبادة (البحتري) في شعره عجائب وما أظنه كان يستحسن مثل هذا الزحاف على ان الكسر وجد في ديوانه وهو شرٌ من الزحاف) (راجع عبث الوليد النسخة الفوتوغرافية المحفوظة في المجمع ص ٩٩)

واذا قلنا ان في شعر البحتري اغلاطاً كثيرة لا نعني ان كلها منه بل ان القليل منها منه والكثير من نساخ اشعاره . واشعاره تبلغ (١٥) الف بيت تعاورتها أيدي النساخ اكثر من الف سنة فليس العجيب ان تقع فيها اغلاط بل العجيب أن لا تقع .

٢ — بيت :

(يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر)

ليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كما يقول الاستاذ الجندي . ويكون قوله صحيحاً اذا أردنا من معني (الاشتيام) رئيس الملاحين . وهو يرى ان رئيس الملاحين واحد منهم فلا يوصف بالعظمة . فيكون المعنى ان الملاحين من فرط تأدبهم يحترمون الاشتيام كما يحترم الناس أمراءهم العظام . وهو قول وجيه ومع هذا يمكن الردّ عليه بأن رئيس الملاحين عظيم في نفوس اتباعه أيضاً فنكون شبهنا احترامهم لعظيمهم باحترام الناس لعظيمهم . وهل هذا الا تشبيه الشيء بنفسه . اما اذا اريد بالاشتيام معناه الآخر وهو (رئيس المركب) الذي يدير حركة القتال فيه كان المراد به اذ ذاك الامير احمد بن دينار : فقد كان رئيس المقاتلين لا رئيس الملاحين واذ ذاك تكون هجنة تشبيه الشيء بنفسه في البيت أبين وأظهر . اذ يكون المعنى ان المقاتلين يحترمون رئيس مركبهم العظيم كما يحترم الناس رؤساءهم العظام . وليس البحتري بمعصوم عن زلة تشبيه الشيء بنفسه : فقد سبق له ان شبه الاثافي بالاثافي : ذكر ابو العلاء في كتابه (عبث الوليد) أن البحتري قال في القصيدة التي اولها :

(أ لِما فاتَ من تلاقٍ تلاف أم لشاكٍ من الصبابة شاف)

ثم قال: (وأثافٍ أتت لها حِجَجٌ دو ن لظى النار — مُثَّلٌ كالأثافي)

فاستشكل ابو العلاء تشبيه الاثافي بالاثافي · وأراد الاعتذار والتلافي · فقال (اذا صحت الرواية على هذا فالمعنى كذا وكذا · ثم اخذ في تأويل هذا العبث أو الغلط كما يفعل الشراح اذا رأوا في النصوص ما يدعو الى تأويلها · ولكن تأويل الغلط لا ينفي عنه وصف الغلط · وبالجملة فان بيت البحتري : يغضون الخ اذا لم يكن من تشبيه الشيء بنفسه كما يرجح الاستاذ الجندي فهو قريب منه

٣ — يرى الاستاذ اننا عبنا البحتري في استعماله كلمة (الاشتيام) وهي لم تذكر في كتب اللغة ليتوصل بذلك الى نقدنا في استعمال كلمات (العجالة) و (المعاجم) و(التحليل) في مقالنا وهي مما لا يعرفه علماء اللغة · أما نحن فلم نعب البحتري باستعمال (الاشتيام) قط وانما اشكل علينا أصلها كما اشكل على غيرنا · والكلمات الثلاث المعدودة من اغلاطنا ظاهرٌ عنا عارها : فالعجالة كلمة فصيحة في المعنى الذي استعملناها فيه · فليراجعها القارئ في الصحاح يجده يقول (العجالة بالضم ما تعجلته من شيء) ونحن استعملناها في ما تعجلناه من الكلام · والكلام شيء : قال في (الجوهرة) (والشيء عندنا هو الموجود) · اما كلمة (المعاجم) فقد اصطلح المتأخرون على تسمية كتب اللغة والتراجم بها لأن مواد الكلم فيها مرتبة على حروف المعجم · وهل أحد منا لا يستعمل كلمة معجم ومعاجم قولاً وكتابةً · ونسي الاستاذ ما سُمي بالمعاجم من مصنفات كبار علمائنا كمعجم الادباء والبلدان ومعجم ما استعجم الخ وان لم نقل معاجم نقل (قواميس) وهل نكون آمنين من النقد اذا قلناها يا ترى ؟

وأما كلمة (تحليل) فاصطلاح علمي قديم وهو جائز الاستعمال من دون نكير كسائر الاصطلاحات العلمية وليراجع القارئ كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ص ٣٨٦ فان فيه ما يدل على ان استعمال كلمة (التحليل) اصطلاح لاسلافنا من أطباء ومناطقة وغيرهم وهو عند الكيماويين بمعني ارجاع المادة الطبيعية الى عناصرها الاصلية · وقد استعار كتابنا المعاصرون كلمة التحليل واستعملوها في ارجاع الكلمة اللغوية الى معانيها المعقدة المختلفة · ولم تزل كلمة (التحليل) مستعملة الى اليوم في

معاهدنا العلمية وعلى ألسنة اساتذة الكيمياء خاصة • واتفق لي بالامس ان صادفت طالبي تجهيز بيدهما دفتر كيمياء فاذا فيه ما نصه بالحرف (هدف التحليل المباشر هو فصل المركبات المختلفة الموجودة في المواد العضوية بحالة خليطٍ الخ • ولكل علم حتى علوم الدين اصطلاح لا يعرفه العرب ، سُئل اعرابي : أتهمز الفارة ؟ أي أتلفظها بالهمزة • قال الهرُّ يهمزها • اي يشدّ عليها ليأ كلها • وهذا معنى الهمز في اللغة • ولو سألت ذاك الاعرابي عن إعراب (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) لقال متعجباً : إن معناه من الوضوح بحيث لا يحتاج الى إعراب • لأنه يفهم من كلمة الاعراب معناها اللغوي وهو الابانة والافصاح عن الشيء أما معناها الاصطلاحي التعليمي فهو تطبيق القواعد النحوية على جملةٍ ما • وهذا مما يجهله العرب • وكم تظنون الاستاذ الجندي استعمل كلمة (الاعراب) الاصطلاحية وهو يعلّم اللغة العربية ؟ تقولون مئة الف مرة • أقول بل اكثر قليلاً • يستعمل الاستاذ كلمة (الاعراب) بألوف المرات ويلومني على استعمال (التحليل) ثلاث مرات فقط • وهذا ابن أبي الحديد يقول في خاتمة شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم المحسوسات وقولهم (الكل والبعض) وقولهم (الصفات الذاتية) وقولهم (الجسمانيات) وقولهم (أما اولاً فالحال كذا) ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب • ولكننا أستهجنا تبديل ألفاظهم • وتغيير عباراتهم • فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم اه » • وكنت استفتيتُ أعضاء مجمعنا العلمي في الكلمات غير القاموسية • ومنها كلمات الاصطلاحات العلمية • فأجمعوا على جواز استعمالها وهم (١٨) عضواً • فيهم الاسكندري والكرملي والنشاشيبي والخضر • ويكفي ان تذكر اسماؤهم فتذكر بجانبها الغيرة الملتهبة على اللغة • وقد سكت بقية الاعضاء عن الجواب على سؤالي ومضى على ذلك عشر سنين فاكتسبت الكلمات الاصطلاحية الصفة القانونية وحق الاستعمال كما يستعمل الكلام الفصيح (راجع مجلة المجمع مجلد ١٢ ص ٥٢٧) و (مجلد ١١ ص ٤٣٢)

المغربي

نصاب الاحتساب

١ — تمهيد

ليس الغرض من كتابة هذا الفصل ، أن نتكلم على الحسبة ذاتها ، أو أن نصف ما كان يناط بأربابها من الاعمال والواجبات ، أو ما كانوا يؤدونه لبلادهم وأمتهم من جليل الخدمات . فتلك أمور قد سبقنا الى البحث فيها جماعة من أفاضل العلماء والكتاب ، فوفوها حقها من العناية بها وتحقيقها .

ونحن نرمي الى التعريف بأحد التصانيف العديدة الموضوعة في هذا الباب ، ونعني به كتاب « نصاب الاحتساب » الذي وقفنا على بعض نسخه بنفسنا ، وعلى الباقي — وهو الاغلب — بمراجعتنا فهارس المخطوطات العربية لدور الكتب الكبرى في بلدان الشرق والغرب .

٢ — مؤلف الكتاب

جاء في مستهل مخطوطة المتحف العراقي لهذا الكتاب ، أن اسم المؤلف « عمر بن محمد ابن عوض السنامي » . وفي هامش تلك الصفحة ما يفيد أن « السنامي » نسبة الى قرية قريبة من بخارى اسمها سنام .

وقد أغفل كتبة الأنساب ، كالسمعاني وابن الاثير والسيوطي ، ذكر هذه النسبة . وقد رجعت الى كتب البلدان ، فألفيت بعضها يذكر « سناماً » بكونها قلعة في ما وراء النهر[1] ، كما وجدت بعضها الآخر يقول إنها جبال هنالك أيضاً[2] .

والغريب ، أن لفظة « السنامي » قد تلاعبت بها أيدي النساخ أيما تلاعب ، فجعلتها تقرأ في أوجه متغايرة : فهي في بعض النسخ « السنامي » وفي بعضها الآخر

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ص ٣٢٢) . ومعجم البلدان (٢ : ١٤٠ و ٣ : ١٥٥ من طبع الافرنج) . ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق (٢ : ٥٦ من طبع الافرنج ايضاً) . (٢) الأعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٩٣).

« الشامي » أو « الشافعي » أو « الشيامي » أو « السنائي » أو « النسامي » ... ! وغير خافٍ ، أنّ هذه الالفاظ كثيراً ما يلتبس بعضها ببعضٍ ، خاصةً إذا أُهملَ إعجامُها .

وعلى كل حالٍ ، انا نرى أنّ « الشافعي[1] » أبعدهنّ عن الصواب ، خاصةً بعد أن صرح الحاج خليفة[2] بأنّ المؤلف حنفي كما سنذكره .

أما ترجمة المؤلف ، فلم نقف على أثر لها في المظانّ التاريخية أو تراجم رجال الحنفية التي بيدنا . وقد أسلفنا القول إن الحاج خليفة ذكر أنه كان حنفياً ، غير انه سكت عن ذكر سنة وفاته .

وفي الصفحة ١٤٠ من المخطوطة المذكورة هذه العبارة : « قال العبد[3] أصلحه الله تعالى : وقد ظفرتُ على هذا الحديث [كذا] بعد ان كنتُ اجلس للعامة في المنابر بتوفيق الله عزّ وجلّ ، اكثر من ثلاثين سنة ... »

ففي هذه العبارة ما يوضح ناحيةً من حياة المؤلف التي قضى منها نحو ثلث قرنٍ — وهو شطر لا يستهان به من حياة الانسان — في المنصب الذي ذكره .

وقد بدا لنا من مطالعة الكتاب ، ان المؤلف كان متوفراً على بحثه متمكناً من موضوعه ، وانه كثيراً ما يستشهد بآراء غيره ، ثم يردّ على بعضها فيما يرى انه الأصح .

وفي مطاوي الكتاب ، فقرات ذات علاقة بالمؤلف ، منها قوله[4] :

« قال العبد اصلحه الله : فبهذا الحديث[5] عملتُ في وقت اشتغالي بشيءٍ من الحسبة ، فكنتُ امرتُ ان لا يترك في المسجد الجامع يوم الجمعة صبي ولا مجنون ولا شيء يباع من الماء والمروحة والمسواك وغير ذلك مما كان جرت العادة ببيعه قبل ذلك » .

أو قوله :[6]

(١) نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول (وهي برقم ١٨٨٤) .

(٢) كشف الظنون (٦ : ٣٤٥ طبع لندن ، او ٢ : ٦٠٠ من طبع استانبول).

(٣) قصد المؤلف بهذا نفسه . وهو يردّد هذه العبارة كلما أبدى رأياً خاصاً في مسألة من المسائل او عقب على رأي لغيره . (٤) مخطوطة المتحف العراقي (ص ٣١).

(٥) الحديث هو هذا : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وبيعكم وشراءكم وإقامة حدودكم » . (٦) المخطوطة (ص ٤٦) .

« قال العبد أصلحه الله : ولذلك كنتُ امنع الجصاصين عن اتخاذ مطبخ الجص بين سوق البزّازين » .

وكم تكون قيمة هذين النصين عظيمة ، لو ان المؤلف عين اسم البلدة التي ذكر مسجدها الجامع ، او سوق البزّازين فيها ؟

ويلوح لنا من بعض عبارات المؤلف ، انه كان صريحًا جريئًا ، لا تأخذه في قول الحقّ لومة لائم . انظر قوله [١] :

« ومما سنه القضاة في بلادنا الآن ، ظلم صريح ، وهو أن يأخذوا من الانكحة شيئًا ثم يجيزون اولياء الزوج والزوجة بالمناكحة ، فانهم ما لم يُرضوا بشيء من أوليائهما لم يُجيزوا بذلك » !

أو قوله الآخر الذي يندّد فيه بخطباء عصره [٢] :

« وفي هذا الزمان نوعان من منكرات الخطباء : أحدهما انهم يقولون في خُطبهم من كلمات يجب النهي عنها ، والثاني انهم يلبسون طيالسة [٣] الحرير والنهي عنها واجب » .

أو قوله الآخر فيهم [٤] :

« سئل داود الظاهري [٥] رحمه الله تعالى عن الخطباء الذين يخطبون على المنابر يوم الجمعة ما قالوا في القاب السلطان فانهم يقولون : السلطان العادل ، والسلطان العالم الأعظم ، شهنشاه الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، سلطان الارض ، مالك بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة الله . هل يجوز ام لا ؟ قال : لا يجوز على الاطلاق والتحقيق ان بعض هذه الألفاظ كفر وبعضها كذب ... » .

(١) المخطوطة (ص ٢٧) . (٢) المخطوطة (ص ٣٩) .

(٣) الطيالسة : واحدها الطيلسان . ضرب من الاكسية . يقال : تطلست بالطيلسان وتطيلست . واللفظة فارسية الاصل وفي كتاب « الالفاظ الفارسية المعربة » لأدّي شير (ص ١١٣) انه « كساء مدور اخضر لا اسفل له » ، لحمته او سداه صوف . يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ » .

(٤) المخطوطة (ص ٤٠) . (٥) فقيه اصبهاني الاصل ، قدم بغداد فسكنها وصنف كتبه بها . مات سنة ٢٧٠ هـ . وترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨ : ٣٦٩ — ٣٧٥) .

أو استمعْ الى نقده لأحوال سلاطين عصره حين يقول [١] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ومن الظلم المعروف من السلاطين انهم يضربون دراهم في نوبتهم ويروّجونها بين الناس بأكثر من قيمتها ، فاذا انتهت نوبتهم عادت قيمتها الى قدرها فيتضرّر بها كثير من الناس . فانهم خصماء على ذلك الظالم يوم القيامة » .

أو قوله الآخر [٢] :

« وكان بشر [٣] رحمه الله تعالى يقول : تقبيل يد المأمون [٤] فسقٌ .

قال العبد اصلحه الله تعالى : فلو كان بشر حيّاً في زماننا ويرى افعال أئمتنا عند دخولهم على ذي سلطان ، ماذا يقول في شأنهم ؟ ولما كان تقبيل ايديهم هكذا ، فكيف يكون تقبيل ارجلهم ؟ واسوأ من ذلك تقبيل حافر الفرس إذا اعطى السلطان واحداً فرسه ! » .

او انظر الى انتقاصه المجتمع وانتقاده ما كان يغلب عليه من جهل وخرافات ، حين يقول [٥] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ونستدل بهذا الحديث [٦] ، على منع الناس ان يعلقوا على اولادهم التمائم والخيوط والخرزات وغير ذلك مما يختلف انواعه ويظنون ان ذلك ينفعهم او يدفع عنهم العين او مسّ الشيطان ونحو ذلك . وهي نوع من الشرك اعاذنا الله تعالى من ذلك ، فانّ النفع والضرّ بيد الله تعالى لا بغيره . بخلاف الرتيمة وهي الخيط الذي يُربَط بالاصبع او بخاتم للتذكر فانه لا بأس به للحاجة » .

وفي النبذة التالية ما يَقفكَ على رأيه في المعتزلة [٧] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ولما اطلعتُ على هذه الرواية ، بأنّ كتب

(١) المخطوطة (ص ٦٠) . (٢) المخطوطة (ص ٩٩) . (٣) هو بشر بن الحارث المعروف بالحافي . كان ورعاً زاهداً . مات ببغداد سنة ٢٢٧ هـ . وترجمته معروفة في كثير من التصانيف. (٤) كان المأمون يقول : لم يبق احدٌ في هذه الكوَر يُستحى منه غير هذا الشيخ يعني بشر بن الحارث (انظر تاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٧٢) . (٥) المخطوطة (ص ٦٧) .

(٦) الحدث هو : « لا تبقينّ في رقبة بعير قلادة من وبر اوغيره الا قطعت » .

(٧) المخطوطة (ص ٧٠) .

المعتزلة المشتملة على اعتقادهم وبيان مذهبهم الخبيث لا يجوز امسا كها في البيت ، فكان عندي الكشاف للزمخشري ، وفيه مذاهب الاعتزال في كل صفحةٍ وورقة ، فأخرجته عن بيتي وما بعته بثمن ! » .

والمهمّ ذكره هو اننا عرفنا من الفقرة الآتية احد اساتذته ، فقد قال [1] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : سمعت شيخي واستاذي الإمام العالم الكامل كمال الدين السنامي طال عمره ، ان شاباً من اصلٍ بخاريّ سأل ... الخ »

ولم نقف على شيءٍ من ترجمة استاذه هذا . والذي يلفت الانظار في تسميته هو لفظة « السنامي »

كما اننا لم نعثر في الكتاب من اوله الى آخره ، على ذكر تصنيف آخر لمؤلفنا .

ويُلاحظ ، ان مصنف كتاب نصاب الاحتساب ، يستند في بحوثه الى مؤلفاتٍ عديدة في التفسير والفقه والاحكام واللغة ، بالعربية والفارسية . واحدث مراجعه يعود الى المائة السابعة للهجرة . والذي احصيناه من تلك المراجع بلغ الاربعين كتاباً ، نذكر منها :

١ — بستان العارفين : لأبي الليث السمرقندي الحنفي ، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .

٢ — الملتقط في الفتاوى الحنفية : لناصر الدين السمرقندي (٥٥٦ هـ) .

٣ — شرعة الاسلام : لامام زاده (٥٧٣ هـ) .

٤ — المغرب في اللغة للمطرّزي (٦١٠ هـ) .

٥ — الفتاوى الظهيرية : لظهير الدين ابي بكر القاضي المحتسب ببخارى (٦١٩هـ) .

٦ — عوارف المعارف في التصوّف : لشهاب الدين عمر السهروردي (٦٣٢هـ) .

٧ — تذكرة الاولياء (بالفارسية) للشيخ فريد الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالعطار الهمداني (٦٣٧ هـ) .

٨ — سير الاتقياء (بالفارسية . وحين نقله من هذين الكتابين الأخيرين وغيرهما من المؤلفات بالفارسية ، يورد النصوص بلغتها الأصلية [2]

(١) المخطوطة (ص ٧٢)

(٢) اقحم المؤلف ، في كتابه نصوصاً عديدة بالفارسية ، تفرقت في اكثر من ثلاثين موطناً .

ويؤخذ من النسخ الخطية المؤرخة لهذا الكتاب ان اقدمهن عهداً كتبت سنة ٩١٢ للهجرة . ويتضح من المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان أحدثها توفي مؤلفه سنة ٦٣٧ هـ فتكون وفاة مؤلفنا اذاً ، داخلة في المدة المنحصرة بين سنة ٦٣٧ و ٩١٢ هـ

٣ — موضوعات الكتاب

افتتح المؤلف كتابه بهذا الكلام :

«الحمد لله الحسيب الرقيب على نواله ايماناً واحتساباً والصلاة على رسوله محمد وآله مالا يحصي كتاباً ولا حساباً اما بعد : فقد جمع عبده الغريق في بحر فضله الطامي ، عمر بن محمد بن عوض السنامي ، ألهمه الله تقواه فيما يكتسب ، ويجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب في تصنيفه هذا الكتاب ، وهو نصاب الاحتساب ، مسائل اختصت بالنسبة الى حسب منصب الحسبة ، من كتبٍ معتبرة بين الفقهاء ، ومعوَّل عليها عند العلماء ، بعد ما تحمل في جمعه نَصباً ، وكمل في قيده نُصباً ، وصرف الى تنقيحه وتصحيحه مدةً مديدة ، وتكلف في ترتيبه وتهذيبه شدّةً شديدة ، ليكون للمبتلى به آية يعرف بها فيما يحتاج اليه غاية ، وهو مرتب على أبواب» .

وابواب الكتاب التي يشير اليها المؤلف ، عبارة عن اربعة وستين ، تتفاوت طولاً وقصراً . وقد بان لنا من مقابلتها بموضوعات بعض الكتب الأخرى في الحسبة ، انه تفرّد ببعضها دون غيره ، وفي هذا ما يزيد في قيمته . ولا نرى لتعريف ابواب هذا السفر خيراً من ان نذكر عناوينها بحسب ترتيبها فيه :

١ — تفسير اللفظين المتداولين في هذا الكتاب : الاحتساب والحسبة .
٢ — الاحتساب على من يستخفّ بالحروف والكواغد ونحوهما .
٣ — الاحتساب على المخنث .
٤ — الفرق [بين] المحتسب المنصوب والمتطوّع .
٥ — التعزير .
٦ — الاحتساب على الفقراء

٧ — الاحتساب على الظالم بإعانة المظلوم ·

٨ — الاحتساب على النساء ·

٩ — الاحتساب بسبب الغلمان ·

١٠ — الاحتساب في الاكل والشرب والتداوي ·

١١ — الاحتساب على اللعب ·

١٢ — الاحتساب على القضاة واعوانهم ·

١٣ — الاحتساب على من يتصرّف في المقابر بما يجوز وبما لا يجوز ·

١٤ — فيمن يخبر المحتسب بالمنكرات ·

١٥ — فيما يحتسب في المسجد ·

١٦ — الاحتساب على من يحضر الندبة في المساجد والمقابر في اليوم الثاني والثالث من الموت وبيان ما فيه من الأمور المحرّمة والمكروهة ·

١٧ — الاحتساب على الخطباء ·

١٨ — الاحتساب على من حلف بغير الله تعالى او حلف فيه ·

١٩ — الاحتساب على من تكلم بكلام الكفر ·

٢٠ — الاحتساب على الوالدين والأولاد ·

٢١ — الاحتساب في الخصومة الواقعة بين الجيران ·

٢٢ — تفضيل منصب الاحتساب ·

٢٣ — الاحتساب على من كشف عورته او نظر الى عورة غيره ·

٢٤ — الاحتساب على من يُظهر القبور الكاذبة ويشبه المقابر بالكعبة ·

٢٥ — الاحتساب بسبب الصورة في البيت ·

٢٦ — الدراهم والدنانير وغيرهما من انواع الاثمان ·

٢٧ — الاحتساب على اهل الذمة ·

٢٨ — الاحتساب على المسافرين ·

٢٩ — الاحتساب بالاحراق ·

٣٠ — الفرق بين المحتسب والمتعنت .

٣١ — الاحتساب على من يكتب التعويذ ويستكتبه .

٣٢ — الاحتساب على من يأخذ شيئًا على الاحتساب من الناس .

٣٣ — الاحتساب في باب العلم والمعلم .

٣٤ — الاحتساب على السحرة والزنادقة والرقية [كذا . والصواب والرقاة] ونحوهم .

٣٥ — الاحتساب فيما يجوز التصرف في ملك الغير وغير الملك عقاراً او عروضاً .

٣٦ — إطلاق البنج على المسلم والذمي وتعزير آكله وشاربه .

٣٧ — الاحتساب على من استعمل الذهب والفضة وغيرهما .

٣٨ — الاحتساب في الثياب .

٣٩ — الاحتساب على من ينظر بغير حلّ .

٤٠ — الاحتساب على أهل بيع الكعب المفضض من الرجال .

٤١ — الاحتساب على المماليك .

٤٢ — فيما يتعلق بمسائل الموتى .

٤٣ — إراقة الخمر وقتل الخنزير .

٤٤ — الاحتساب على اصحاب الزروع والباغات [١] .

٤٥ — الاحتساب على من يفعل في جسده او شعره او في اسمه بدعة .

٤٦ — الاحتساب في فعل البدع من الطاعات وترك السنن .

٤٧ — فيما يسقط به فريضة الاحتساب .

٤٨ — الاحتساب على المفرط في تواضع الناس .

٤٩ — الفرق بين المحتسب المنصوب وبين المحتسب المتطوّع [٢] .

٥٠ — بيان سبب انتساب الاحتساب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

(١) الباغات ، واحدها الباغ : لفظة فارسية بمعنى البستان (شفاء الغليل للخفاجي ، ص ٢٨ طبعة الوهبية : او ص ٤٢ طبعة الخانجي) . ومعجم ردهوس :
Redhouse: A Dictionary of Persian, Arabic, and English [vol. I, Oxford, 1777, p. 334].

(٢) هذا هو غير الباب الرابع ، وإن تشابه عنوانهما .

٥١ — في أواني الخمر .

٥٢ — آداب الاحتساب .

٥٣ — الاحتساب على ما يظهر من البدع في البيوت ، وفي هجوم المحتسب على بيوت المفسدين بلا اذنهم .

٥٤ — فيما يمنع المحتسب عن الطريق ومالا يمنع

٥٥ — الاحتساب في الصلاة .

٥٦ — الاحتساب في الدواب .

٥٧ — الاحتساب على الطيرة والتكهن والتنجيم والتفاؤل ونحوها .

٥٨ — الاحتساب على الطباخ .

٥٩ — في بيان كلمات الكفر والمعصية .

٦٠ — الاحتساب على البدع في الانكحة .

٦١ — الاحتساب على بدع شعر الرأس .

٦٢ — الاحتساب على المذكر وعلى سامع التذكير .

٦٣ — الاحتساب فيما يقام به التعزير وتعليق الدرّة [١] على باب المحتسب .

٦٤ — الاحتساب بالاخراج .

هذه هي أبواب الكتاب . وقد كان العلامة محمد كرد علي [٢] نقل الباب الأوّل وقطعاً من بعض فصوله الأخرى ، عن النسخة التيمورية .

وللمؤلف إشارة الى ان كتابه مختصر ، حيث يقول [٣] :

« ... وانه كثير لا يحتمله هذا المختصر » .

بقي علينا ان نقول انه ورد في تعليقٍ على كشف الظنون [٤] ذِكرُ كتابٍ آخر بعنوان « نصاب الاحتساب » للقاضي ضياء الدين البرني المحتسب من علماء بغداد ، وزاد المعلق عليه قائلاً ان هذا الكتاب هو غير الذي لعمر بن محمد بن عوض السنامي . ويغلب على ظننا ان كتاب البرني أخذته يد الضياع .

٤ – نُسخ الكتاب

لقد تتبعنا نُسخ هذا الكتاب ، وتعقبنا أثرها في قوائم المخطوطات العربية في

(١) الدِرّة : السوط يضرب به . جمعها : الدرر . (٢) مجلة المقتبس (٣ [١٩٠٨] ص ٦٠٩–٦١٢) . (٣) المخطوطة (ص ١٢٧) . (٤) هامش الصفحة ٥٣ من المجلد الاول من طبع استانبول .

كثير من خزائن الكتب ، فأدّى بنا الأمر الى الوقوف على عشرين نسخة خطية من هذا الكتاب ، وهذه هي :

١ — نسخة المتحف العراقي ببغداد (١) : وهي في ١٤٦ صفحة ، في كل منها ٢٥ سطراً ، كتبت سنة ١٠٧٩ ﻫ بخط أحمد بن الشيخ علي المقناوي .

٢ — نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد .

٣ — نسخة دار الكتب المصرية (٢) : وهي بخط شمس الدين بن حجيج بن سعد الدين الحموي ، سنة ١٠١٠ ﻫ .

٤ — نسخة الخزانة التيمورية [في دار الكتب المصرية الآن] . كتبت سنة ١١٧١ ﻫ . في ١٣٤ ص . ذكرها الاستاذ محمد كرد علي في مصادر خطط الشام (١ : ١٤ ، الرقم ٦٣) كما انه استوفى الكلام عليها في المقتبس . وقد بينا ذلك آنفاً .

٥ — نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول (٣) ، رقمها ١٨٨٤ .

٦ — نسخة خزانة اسعد افندي باستانبول ، رقمها ١٠٢٤ .

٧ — نسخة خزانة لاله لي باستانبول ، رقمها ١٢٣٠ .

٨ — نسخة الخزانة السليمانية باستانبول ، رقمها ٦٨٥

٩ — نسخة خزانة عاشر افندي باستانبول ، رقمها ٤٠٧ .

١٠ — نسخة الخزانة الحميدية باستانبول ، رقمها ١٠٦ .

١١ — نسخة خزانة فاتح باستانبول ، رقمها ٤٨٤ .

١٢ — نسخة خزانة الجمعية الآسوية البنغالية في كلكتة (٤) : برقم (Ac 72) ، تاريخها ١١٠١ ﻫ .

---

(١) النصوص الواردة في هذا البحث ، منقولة من هذه النسخة . (٢) انظر فهرست الكتبخانة الخديوية (٣ : ١٦٣) . (٣) لكل خزانة من خزائن كتب استانبول ، قائمة (بالتركية) تعرف باسمها ، ولم نجد داعياً لذكرها في الهوامش لوضوح أمرها .

(٤) Catalogue of the Arabic books and manuscripts in the Asiatic Society of Bengal, By Shamsu-l-'ulama mirza Ashraf 'Ali. [Calcutta, 1904, p. 20] .

١٣ — نسخة الخزانة الشرقية في بانكي بور[١] بالهند: رقمها ١٠٩٣، وهي في ٢٣٥ ورقة صغيرة، كتبت سنة ١٢٥٦ هـ

١٤ — نسخة الخزانة البارودية الكبرى في بيروت[٢]: في ٢٢٤ صفحة، كتبها أحمد بن محمد القونوي سنة ١٠٣٩ هـ .

قلنا: هذه النسخة هي بعينها التي وُصِفتْ في قائمة مخطوطات جامعة پرنستن[٣] بأميركة، برقم ١٧٧٥ حيث ذكر هنالك انها اقتنيت من البارودي في بيروت سنة ١٩٢٥

١٥ — نسخة خزانة المكتب الهندي[٤] بلندن: رقمها ٢٧٧ وهي في ٩٢ ورقة، في الصفحة ١٩ سطراً .

١٦ — نسخة ثانية في خزانة المكتب الهندي بلندن، رقمها ١٦٩٣ .

١٧ — نسخة خزانة برلين[٥]: رقمها ٤٨٠٤ . كتبت سنة ١٢٥٠ هـ في ١٤٩ ورقة.

١٨ — نسخة ثانية في خزانة برلين[٦]: رقمها ٤٨٠٥. كتبت سنة ١٠٥٠ هـ في ٧٥ ورقة .

١٩ — نسخة الخزانة الآصفية في حيدر اباد الدكن: رقمها (١٢٢ فقه حنفي) وقد كتبت سنة ٩١٢ هـ وهي أقدم النسخ المعروفة .

٢٠ — نسخة ثانية في الخزانة الآصفية: رقمها (١٥٠ فقه حنفي) وهي غير مؤرخة.

٥ — ترجمة الكتاب الى التركية

ذكر الاستاذ المحامي عباس العزّاوي، في بحث له عن الحسبة[٧]، ان هذا

(١) Catalogue of the Oriental public library of Bankipore. [vol. I., 1918, p. 108].

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٥ [١٩٢٥] ص ١٨٩) من مقال للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف، في وصف خزائن الكتب العربية .

(٣) Descriptive catalog of the garret collection of Arabic manuscripts in the Princeton university library [1938, p. 528].

(٤) Loth: Catalogue of the Arabic manuscripts in the library of the India office. [London,1877, p. 67].

(٥) Ahlwardt: Verzeichniss der arabischen Handschriften zu Berlin [Band IV, 1892 pp. 251 - 252] .

(٦) Ahlwardt, IV, 253.

(٧) الحسبة في الاسلام (مجلة العالم الاسلامي ١ [١٩٦١] ص ٥٠٤ — ٥١١) . وقد احصى الاستاذ العزّاوي في مقالته هذه عشر نسخ من كتاب نصاب الاحتساب، منها سبع في استانبول واثنتان في بغداد وواحدة في القاهرة .

الكتاب تُرجم الى التركية غير مرّةٍ ، وان من هذه الترجمات نسخاً في خزائن كتب استانبول ، لم نرَ داعياً الى سردها هنا .

٦ – طبع الكتاب

ذكر مؤلف « اكتفاء القنوع »[١] بأنّ كتاب « نصاب الاحتساب » طبع في كلكتة ، باعتناء العلامة اسبرنغر[٢] . غير انه لم يُشر الى اسم مؤلفه او الى سنة طبعه . أما سنة طبعه – اذا صحّ ان يكون قد طبع – فيجب ان تكون قبل سنة ١٨٩٣ م التي توفي فيها اسبرنغر المذكور .

ثم جاء الباحث يوسف أليان سركيس[٣] ومفهرسو مخطوطات جامعة برنستن[٤] ، فتابعوا صاحب اكتفاء القنوع وقالوا انه مطبوع ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً قط .

وعبثاً حاولنا ان نقف على نسخةٍ مطبوعةٍ من هذا الكتاب في مكتبات الشرق ، بل اننا سألنا أشهر الكتبيين في اوربة ان يبحثوا لنا عن نسخة واحدةٍ منه بأيّ ثمنٍ كان ! غير انهم ابدوا أسفهم معتذرين لعدم وقوفهم على شيءٍ من أمره ..!

ولقد رجعنا الى فهرس المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني ، واستقرينا فيها جميع ما نشره اسبرنغر ، فاذا هذا الكتاب ليس فيها !

على اننا في شكٍ من صحة ما جاء في تلك المراجع الثلاثة المشار اليها ، خاصة أقدمها عهداً ، وهو اكتفاء القنوع ، الذي نقل عنه من جاء بعده . ولو سلمنا بكون هذا الكتاب قد نشر ، نعود فنتساءل : ما قولك في كتابٍ مطبوعٍ هذا شأنه من الندرة ؟ أليس الأحرى انْ يعاد نشرُهُ ويقابل طبعه على النسخ المتعددة التي ذكرناها ، ليعم نفعه القراء ، وتتيسر الاستفادة منه ؟

[بغداد] كوركيس عوّاد

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادْوَرْد فنديك (ص ٥٠٦) .
(٢) A. Sprenger (٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ٢٠٢٣) .
(٤) Descriptive catalog (p. 528).

صفحة من التاريخ الشامي لم يدون اكثرها

أتيح لي عام ١٣٥١ وانا بضيافة الشريف عباس آل مرتضى في دمشق الوقوف على مراسيم وسجلات خلفها اجداده من وثائق بعض الوقوفات ومن تثبيت لها في محاكم دمشق الشرعية وما الى ذلك مما له قيمته التاريخية وبعضها يمتد تاريخه الى عهد سيف الدين تنكز سنة ٧٣١ ﻫ ومنها مجموع صغير الحجم دوّن فيه كاتبوه من أجداد الشريف شؤوناً خاصة وحوادث تاريخية واسماء رجال لم اعثر على ذكر لجلهم في كتب المؤرخين المتأخرين فرأيت اخراج هذه الصفحة المطوية التي لها صلتها بتاريخ تلك الايام بعبارة كاتبيها غير متصرف بشيء منها إلا بتنسيق الحوادث التي لم تنسق في المجموع حسب حدوثها في سنيها معلقاً عليها ببيان ما لم يعرض له المؤرخون او ما فيه بعض المخالفة لما دونوه منها ٠

مدينة بعلبك

موطن أشراف آل مرتضى فيها وفي دمشق وولاية اجدادهم نقابة اشرافها

إن موطن هذه الاسرة العريقة الاول هو مدينة بعلبك واول من عرف من قدمائها هو السيد حسن الحسيني ٠ فقد جاء في تثبيت وقفية النبي نوح في الكرك المؤرخة في عام ٩٠٥ ما هذا ملخصه :

حضر لدى مجلس ابي المناقب شمس الدين محمد ابن مفتي المسلمين ملك الفقهاء والمحدثين المرحوم طاهر قاضي قضاة الاسلام وهو بمجلس حكم العزيز بدمشق حضرة الامير الجليل محمد ابن المرحوم الامير الجليل ناصر الدين المعروف بالحنش[1] الامير على

(١) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولاه الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ ﻫ ١٣١٢ م ثم تغير عليه السلطان عماد الدولة اسماعيل بن الناصر فقبض عليه وقتله في الاسكندرية في سنة ٧٤٦ ﻫ هكذا جاء في التعليق على اسمه في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى واما ابن الوردي فقد ارخ قتله في سنة ٧٤٠ ﻫ ٠٠٠ وقال : وله بدمشق والقدس وغيرهما آثار حسنة واوقاف ٠

البقاع مع كرك نوح عليه السلام ونواحيها وأحضر معه مفخر السادة الاجلاء في الديار البعلية وامير السادة الاشراف الحسينية قدوة العلماء السادة الشافعية ودرتهم الباهجة المضية مولانا وسيدنا مفخر السادة الاجلاء الاشراف الكرام السيد علوان[1] ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين مولانا السيد علي ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين جامع الشرف والتقوى والدين مولانا السيد حسين وهو النقيب على السادة الاشراف الكرام والمتولي والناظر على اوقاف حضرة النبي نوح عليه السلام الى أن قال: وأن يكون ذلك متابعاً لما شرطه المرحوم المغفور له تنكز أمير الامراء بدمشق الشام سابقاً في وقفه رحمه الله تعالى المبرز من يد مولانا السيد علوان المزبور في المجلس فتأمله الحاكم المشار اليه ثم أمر بنقله حرفاً بحرف هذا الكتاب .

ومضمونه وقف سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي كافل ولاية دمشق الشام واحضاره معه لاجراء الوقف والتولية السيد حسين ابن السيد موسى ابن السيد علي الحسيني ما وقفه على حضرة نبي الله نوح عليه السلام الى أن قال :

وأشهد بذلك أي بما وقفه من القرى على وجوهها في العشر الاخر من ذي القعدة الحرام سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من الهجرة وذكر شاهدا تثبيت هـذه الوقفية كما يلي : شهد بذلك فخر الاماثل والاعيان الامير حسن ابن الحرفوشي وشهد بذلك فخر الاماثل والاقران المقدم علي بيدمر .

وجاء في وقفيـة السيدة زينب المعروف مشهدها بقرية راوية من ضواحي دمشق واعمالها:

وكان المتقرب الى الله تعالى بهذا المعروف الذي لا يضاهى والعمل الذي اجوره ومثوباته لا تتناهى شيخ الفقهاء والاصوليين علم النحاة والمعربين شيخ الاسلام صدر مكة والمدينة والشام مولانا السيد الشريف حسين ابن المرحوم شيخ الاسلام علم الائمة الاعلام السيد الشريف موسى ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين السيد علي الحسيني الشافعي وهو النقيب على السادة الاشراف الكرام والناظر

(١) تتفرع منه اسرتا مرتضى في دمشق وبعلبك .

في الاحكام الشرعيــة وشيخ الفتوى والتدريس بمدينة بعلبك اعزه الله تعالى .

ثم ذكر اسماء ما وقفه ومنه بقرية الزاوية البستان الكبير المشتمل على مقسمين شرقي وغربي . وجعل ولاية الوقف لنفسه مدة حياته وبعده لولده السيد علي ثم من بعــده لاولاده واولاد اولاده واعقابه وانسابه ابداً ما داموا للارشد فالارشد وسلم الوقف لولده هذا بعد ما جعله شريكاً له في أمر التوليه والنظر ليتم التسجيل وجرى ذلك في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) .

اما ولاية رجال من هذه الاسرة نقابة اشراف مدينة بعلبك فليس لدينا مستند يحدد اول عهدهم بها ووقته ولكن ذلك لا ينفي أن تكون قديمة فيهم وكيف كان فان اول معروف فيهم وهو السيد حسين الحسيني كان نقيب اشراف بعلبك كما هو ظاهر من وقفية السيدة زينب سنة ٧٦٨ هـ ووقف نبي الله نوح الذي وقفه سيف الدين تنكز جاعلاً التولية له سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) .

وممن ذكرت اسماؤهم في المجموع من نقباء الاشراف في بعلبك من هذه الاسرة :

[١] الشريف علوان جد فرعي بعلبك ودمشق من آل مرتضى رأيت بخطه كتاب الدرة المضية في شجرة انساب الحسنية والحسينية والجعفرية والعقيلية والعباسية والهاشمية تاريخ كتابته في عام ٩٤٥ وهو من تقدم ذكر تثبيت ولايته على وقف النبي نوح ، توفي سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) عن خمسة وسبعين عاماً .

[٢] تولى النقابة بعده ولده السيد علي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢٠ م).

[٣] وتولى بعده السيد محمد ابو طالب المتوفى في غرة شهر رجب سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥ م) .

[٤] وتولى بعده ابن عمه السيد زين العابدين بن علوان وانتقل اليه تعالى ليلة الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة سنة ١١٠٤ هـ .

[٥] وتولى النقابة السيد ابراهيم توفي في رابغ سنة ١١٣٧ هـ (١٧٢٤ م) .

[٦] وتولى النقابة بعده ابن اخيه السيد حسن .

اما الحوادث المدونة في المجموع ، فانا نرويها بنصها :

قتل صالح آغا ابن صدقة في ابتداء سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م)[١]

ورد الامر بقتل اغاوات الوجاق لما طغوا وبغوا في سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١) م وهم خليل بن طالو . وموسى آغا ابن الترجمان اسماعيل . ومصطفى آغا بن كيوان . وموسى آغا بن القوشجي . وسلمان آغا ابن الترجمان بن اسماعيل (؟) . ومجيد آغا ابن الدبكي . وكان في الشام محمد باشا الكرجي وأرسلوا رؤوسهم الى السلطنة[٢]

ورد الامر بالنفير العام على الجبل وصارت الجمعية في البقاع من سائر الاطراف وتوجهوا جميعاً لدير القمر ونصبوا الامير موسى بن علم الدين مقام الامير احمد بن معن . وكان في الجمعية خمسة (؟) باشاوات منهم التفكجي محمد باشا واحمد باشا ومتسلم حلب وحاكم بلاد ديار بكر يقال له كوروا . وأرسلان باشا باشاوية طرابلس وهو صاحب الرأي منهم . وكان في الشام اسماعيل باشا ارسل متسلمه وذلك في سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣م)[٣]

ورد الامر السلطاني في نفي حضرة السيد عبد الكريم افندي النقيب الى طرابلس الشام في خامس شهر رمضان سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ونفي معه سليمان افندي

(١) لم اجد ذكراً لصالح بن صدقة هذا . والذي في خطط الشام في اخبار هذه السنة ... انه لما عين كورجي محمد باشا اجريت عليه التنبيهات اللازمة ليطهر البلاد من اعيان قاموا باعمال شنيعة رافعين علم الثورة فدعا الوالي تسعة منهم كما دعا العاصين محمد آغا صدقة ومحمد آغا قوشجي وبطش بهم وارهب غيرهم من الخوارج .

(٢) لم نجد لهؤلاء ذكراً في غير هذا المجموع .

(٣) وروى المطران الدبس في تاريخ سورية هذا الحادث كما يلي : وصدر الامر السلطاني الى اسماعيل باشا والي دمشق . ومصطفى باشا والي صيدا . واحمد باشا والي غزة . ومحمد باشا والي حلب بان ينهضوا مع ارسلان باشا والي طرابلس لقتال الامير احمد بن معن وازاحته عن الاعمال اللبنانية فاجتمع هؤلاء الوزراء بوطا عرموش بالبقاع وعسكرهم ثمانية عشر الفاً وخمسمائة . ورواية الامير حيدر الشهابي تشبه هذه الرواية مع شيء من الاختلاف .

ابن محاسن خطيب الجامع الاموي الى قلعة القسطل · والشيخ عثمان القطان ثم يعاد كل منهم الى محله عقب أربعين يوماً من التاريخ المزبور والله المعين · وكان والي الشام عثمان باشا السلحدار [1]

ورد الامر الشريف الى الشام بالنفير العام وأصاب الناس شدة عظيمة ولطف بهم بوجود مصطفى باشا الوزير كافل الشام وذلك في شهر رمضان المعظم سنة ١١٠٧ ﻫ (١٦٩٥ م) ·

تولى محمد باشا بيرم اوغلي ايالة الشام وامارة الحج في سنة ١١١٤ ﻫ (١٧٠٢ م) وعاد من الحج ونزل في المرجة وأقام الى غرة رجب سنة ١١١٥ ﻫ (١٧٠٣ م) وعزل من الشام وتولى اورفة وتوجه من المرجة الى اورفة ولكن بعد ما نال الناس منه ما لا يطاق من الظلم وكان حبسه اغلال الحديد بين الاوطاق من غير خيمة وكانت شمس النهار تؤذيهم وبرد الليل أعظم وكان يسمى حبسه المسطاح · وبعد خروجه من الشام ارسل لطرف الدولة العلية يشكو حاله ·· ان اهل الشام نهبوه وقتلوا من جماعته وأخذوا من خزنته اربعة احمال وبنى على ذلك اشياء نجانا الله منها [2]

ضبط الامير اسماعيل ابن الامير شديد الحرفوشي مدينة بعلبك وايالتها سنة ١١١٧ ﻫ (١٧٠٥ م) من قبل والي طرابلس لمقطوع مائة كيس وهي خمسون الف قرش

وفي هذه السنة كانت الزلزلة العظيمة في شهر شعبان وحصل منها في بعلبك امور هائلة · وسقط من قلعة بعلبك خمسة اعمدة · ثم اعاد ذكر هذه الزلزلة · فقال :

صدرت الزلزلة العظيمة في ليلة الثلاثاء السابعة من شهر شعبان سنة ١١١٧ وكانت عظيمة مخوفة دفع الله السوء عن عباده وكنا اذ ذاك في بعلبك · والذي حل في بعلبك امر مهول وسقط من قلعة بعلبك خمسة عواميد ورقبة منارة الجامع الكبير · ورقبة جامع نوح وانفضت على سلامة ولله الحمد وقتل في بعلبك رجلان · وأما في الشام فقد ضعضعت اماكن كثيرة ومنها رقبة المنارة المعروفة بالغربية ·

(١) لم تذكر حادثة نفي هؤلاء الاعيان في هذا التاريخ في غير هذا المجموع ·

(٢) لم نجد ذكراً لهذا الحادث في غير هذا المجموع ·

ورقبة المنارة الشرقية الاثنتان في جامع بني أمية وشارطوا على عود الرقبتين كما كانتا على سبعة أكياس ٣٥٠٠ وقد تكررت هذه الزلزلة واقامت اياماً

عمرنا رقبة مأذنة النبي نوح الساقطة ايام الزلزلة سنة ١١١٧ من حد الرفراف بمعونة الله تعالى

ورد الامر السلطاني في نهار السبت في ٢٠ الحجة سنة ١١١٨ هـ (١٧٠٦ م) في نفي اسعد افندي البكري . وعبد الرحمن افندي القاري وسليمان افندي المحاسني المرقوم أولاً الى قبرص وكان والي الشام سليمان باشا وامير حج ووشى بهم للسلطنة لطف الله بهم فاستقاموا في قلعة صيدا ثمانين يوماً . وجاء عفونامه وعادوا الى اماكنهم ولله الحمد[1] انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى الشريف يحيى ابن الشريف بركات المنفصل من شرافة الحرمين الشريفين في نهار الجمعة ثالث عشر وقيل ثاني عشر جمادى الثانية سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) بدمشق الشام وكان له مشهد عظيم ودفن بمزار السيدة رقية تحت قبتها وشمالي تابوتها الشريف جعل الله البركة في اولاده وكان معه في الشام ولده الصغير ابراهيم وأولاد أخيه الشريف عبد الله . وهم الشريف بركات . والشريف سعيد . والشريف حمزة يسر الله امرهم وردهم الى الحرمين الشريفين

وكان المنقيد بمصالحه السيد حسن العجلاني نقيب دمشق اذ ذاك وفقه الله تعالى والفقير[2] وقف على لحده ولقنه بحضر قاضي الشام واعيانها

النبطية سليمان ظاهر

(١) وفي خطط الشام ... وقد أراد سليمان باشا البلطجي كافل دمشق اخذ قرض من تجارها واحداث بعض مظالم فنمه اعيان دمشق ومنهم اسعد البكري وعبد الرحمن القاري وسليمان المحاسني فنفاهم الى صيدا وعرض للدولة اموراً عنهم لم يأتوها ثم أعيدوا الى بلدهم واعتذر الوالي عما عزا اليهم .

(٢) هو على الراجح السيد علي الموسوي من آل مرتضى من اجداد صاحب المجموع السيد عباس آل مرتضى .

جامع التواريخ

– أو –

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

– ١٦ –

حدثني ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن الأهوازي الكاتب قال: كنا خمسة كتاب قد نشأنا بين يدي أبي الحسن بن جميل في الديوان بالأهواز وتعلمنا ، عليه فكان فينا رجل متخلف في صناعته، فأراد ابن جميل أن يغيب عن صاحبه [1] واستخلف ذلك المتخلف، فاغتممنا لتقديمه علينا ، وكان الرجل يدخل الى الصاحب واذا سأله عن شيءٍ لم يفهمه ، وان فهمه لم يحسن ان يجيب عنه ، وان أجاب عنه اضطرب ولم يقم بالحجة ، فلما طال ذلك على الصاحب قال : قد أضرت بنا غيبة ابن جميل عنا اكتبوا اليه حتى يبادر ، قال فعلمنا حينئذ انه استخلفه ليكتب لصاحبه اذا غاب في موضعه ولا يطمع في ان ينوب عنه. [2]

* * *

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب قال : كنت اكتب لأبي الفضل بن غيلان بن اسماعيل وهو بأرجان يتقلدها ، فقيل له : قد قدم ابو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس ، والوجه ان

(١) أي صاحب الديوان كما يأتي (٢) بالأصل : تمورعه

تلقاه في غد، وكان ابو الفضل يُحَمُّ حُمى الرّبع ، فقال: كيف اعمل؟ وغداً يوم حُمَّايَ ولا أتمكن من لقاء الرجل ، ولكن الوجه ان أُحَمَّ اليوم حتى أقدر أن ألقاه غداً ، يا غلام ! هات الدُّواج[1] حتى أحم الساعة ، واذا عنده انه اذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح ، تأخرت عنه الحمى وصح غد .

* * *

حدثنا الاستاذ ابو احمـد الحسين بن محمد الدلجي قال : كنت بنواحي المذار في جماعـة منهم راجل من الشكرية[2] يعرف بابن الجريح ، فخرج علينا أسد ، فابتدر له هذا الرجل بسيفه ودرقته يحاربه ، ودخل معه الاجمة فلم نعرف له خبراً حتى خرج علينا وقد قتل الأسد وحمله على ظهره ، وكان بيننا وبين الأجمة مسافة صالحة ، فلما انتهى الينا طرحه عن ظهره ، فما درينا من أي شيء نعجب ، من رجل قتل سبعاً وحده ، او من حمله اياه على ظهره طول تلك المسافة (العجب ممن يصدق هذا)[3] .

* * *

وحدثنا قال : بلغني عن خفيف السمرقندي انه قال : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع من العسكر وليس معه غيري ، فخرج علينا أسد فقصدنا ، فقال لي المعتضد : ياخفيف ! أفيك خير ؟ فقلت لا يامولاي ، فقال ولا حتى تمسك فرسي وانزل أنا الى الأسد ؟ فقلت بلى ، فنزل وأعطاني فرسه ، وشدّ أطراف منطقته واستل سيفه ورمى القراب[4] اليّ فأخذته ،

(١) اللحاف الذي يلبس (م) (٢) لعله الشاكرية جمع شاكري وهو معرب ومعناه الاجير والمستخدم (٣) هذه ملاحظة بعض النساخين (٤) بالأصل : القرب .

وأقبل يمشي الى الأسد [1] بالضربة فثناه المعتضد بأخرى ففلق هامته فخر صريعاً، ودنا منه وقد تلف، فمسح السيف في صوفة حتى نظفه ورجع الي فأغمد السيف وركب، ثم عدنا الى المعسكر وصحبته، فالى أن مات ما سمعته يتحدث بحديث الأسد ولا لفظ فيه بلفظة، فلم أدر من أي شيء أعجب، من شجاعته وشدته، أم من قلة حفله بما صنعه وكتمانه، (أم) من كرمه وعفوه عني، ولا عاتبني على ضني بنفسي .

* * *

حدثنا ابو الحسن محمد بن احمد بن ام المكاتب البغدادي المعروف والده بأبي الليث الهمذاني قال: حدثني محمد بن سربع [2] العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي وقال [3] ورد الى معز الدولة فاكرمه وأحسن اليه قال : رأيت رجلاً من بني عقيل وفي ظهره كله شرط كشرطات الحجام الا أنها اكبر، فسألته عن ذلك فقال : اني كنت هويت ابنة عم لي، فقالوا لانزوجك الا أن تجعل في الصداق الشبكة — فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب — فتزوجتها على ذلك، وخرجت في أن أحتال في سلب الفرس من صاحبها لأتمكن من الدخول بابنة عمي، فأتيت الحي الذي فيه الفرس في صورة حدّار [4] وما زلت أداخلهم، ومرة اجيء الخباء الذي فيه [5] كأني سائل، الى أن عرفت مبيت الفرس من الخباء، واحتلت حتى دخلت البيت

---

(١) في العبارة سوء تأليف ويريد انه عاجله بضربة وثنى بأخرى (م)

(٢) في كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ١٤٢ يزمع وفي الفرج بعد الشدة ٢: ٥٥ بديع

(٣) لعله : وكان (٤) الحدّار لفظ معناه الذي يطوف في القرى يبيع الأشياء وفصيحه العنقاش (م) (٥) لعله سقط : الفرس وفي الفرج فأتيت الحي الذي فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر

من خلفه وحصلت خلف النضد [١] تحت عِهنٍ كانوا نفشوه ليغزل ، فلما جاء الليل وافى صاحب الخباء وقد زاولت له المرأة عشاء ، وجلسا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت ساغباً فأخرجت يدي وأهويت الى القصعة واكلت معهم ، فأحس الرجل بيدي فأنكرها فقبض عليها ، فقبضت على يد المرأة ، فقالت له المرأة : مالك ويدي؟ فظن انه قابض على [٢] امرأته ، فخلى يدي فخليت يد المرأة ، وأكلنا فأنكرت المرأة يدي فقبضت عليها ، فقبضت يد الرجل ، قال لها : مالك ؟ فخلت عن يدي فخليت عن يده ، وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً ، فلما استقل [٣] وأنا مراصدهم والفرس مقيدة [٤] في جانب البيت ، فأتيتها [٥] والمفتاح تحت رأس المرأة ، فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة ، فانتبهت المرأة فقامت اليه وتركت المفتاح في مكانه وخرجت من الخباء الى ظاهر البيت ، ورمقتها بعيني فاذا هو قد علاها فلما حصلا في شأنها دببت وأخذت المفتاح وفتحت القفل ، وكان معي لجام شعر فأوجرته الفرس ، وركبتها وخرجت عليها من الخباء ، فقامت المرأة من تحت العبد ودخلت الخباء وصاحت ، فذعر الحي وأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا اكد الفرس وخلفي خلق منهم ، فأصبحت وليس ورائي الا فارس واحد برمح ، فلحقني وقد طلعت الشمس وأخذ يطعنني فلا تصل اليّ طعناته ، ولا فرسي تنحيني الى حيث لا يمسني من الرمح شيءٌ حتى وافينا الى نهر عظيم ،

(١) النضد ما نُضد من المتاع وجعل بعضه فوق بعض (م) (٢) في الفرج : على يد امرأته
(٣) في الفرج والاذكياء استثقل وهو غلط (٤) بالاصل بقيده (٥) في الفرج : والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة .

فصحت بالفرس فوثبته ، وصاح الفارس بالفرس الذي[1] تحته فقصرت ولم تثب ، فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأُريح الفرس واستريح ، فصاح بي فأقبلت عليه بوجهي ، فقال : ياهذا أنا صاحب الفرس الذي[1] تحتك وهذه ابنتها ، فاذا[2] ملكتها فلا تخدع عنها فانها تساوي عشر ديات وعشر ديات وعشر ديات ، وما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ، ولا طلبني عليها أحد الا فته ، انما سميت الشبكة لأنها لم تُرِد قط شيئاً الا أدركته فكانت كالشبكة في صيده[3] ، فقلت له : اذ نصحتني فوالله لأنصحنك ، كان من صورتي البارحة كيت وكيت ، وقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس ، فأطرق ثم رفع رأسه وقال : مالك لا جزاك الله من طارق خيراً ، ظلقت زوجتي وأخذت قُعدتي[4] وقتلت عبدي .

* * *

وحدثنا ابن ابي الليث الكاتب ، قال حدثني رجل من بني النمر بن قاسط يسمى دكين بدوي شاهدته بالانبار قال : كان معز الدولة لما حصل بسنجار يشد فرساً له جليل القيمة بين يديه في أقرب المواضع الى مبيته ، فعتبت[5] عليه وطمعت في سله وعملت الحيلة في ذلك فلم أتمكن ، الى أن جئت ليلة من الليالي فوجدت بعض السواس وقد نزع جبة عليه[6] صوفاً وهو نائم وقد طرحها الى جنبه ، فلبستها وجئت الى الفرس وأخذت المخلاة من

(١) الصواب : التي (٢) في الاذكياء : فاذقد (٣) في الفرج في التعلق به
(٤) القعدة من الدواب الذي يقتعده الرجل للركوب خاصة (اللسان عن الليث)
(٥) لعله : فعينت عليه يعني فتعجبت منه والعبارة من لغة العامة (٦) لعله : عنه

رأسه لأحله واركبه ، فلما طرحت المخلاة استيقظ معز الدولة وأحسست بحركته ، فأخذت الغربال وطرحت به باقي الشعير الذي كان في المخلاة وسرّدته (٣) وأعدته الى المخلاة وأوهمته اني أحد السواس وقد فعلت ذلك متفقداً للفرس ، فلما رآني أفعل ذلك صاح بالفارسية بكلام فهمت معناه «حسبه من الشعير لا ترده الى رأسه» فتركت المخلاة ومرح الفرس يطلبها ، فقال معز الدولة بالفارسية : قصر عليه ، فتمكنت من الحيلة وأهويت الى الرسن فحللته موهماً له اني أقصره واستويت على ظهره وصحت به فخرجت من العسكر ، وصاح الامير معز الدولة وركب سرعان العسكر في طلبي ، فما زلت اركض عليه وخلفي جميعه حتى حصلت في شعب طويل وهم ورائي ، فاستقبلني قوم من العلافة رأيتهم على بعد من ضوء مشاعلهم ومعهم عسكر ، فقلت في نفسي : يا دكين اليوم يومك وراءك عسكر وأمامك عسكر فان ملكوك لم يوصلوك الى معز الدولة الا ميتاً وليس غير الاقدام على ما تقدّر فيه النجاة ، فقام في نفسي أن أحمل على من هو أمامي وليس لهم علم بخبري ، فسللت سيفاً كان معي فوق ثيابي وتحت الجبة التي لبستها من ثياب سواس معز الدولة ، وحركت وهم لا يروني لأنهم في الضوء وأنا في الظلمة ، فلما قربت منهم صحت بهم صياحاً عظيماً ، فقدّروني ابتداء خيل قد كبستهم تريدهم ، وأقبلت أحمل على واحد واحد وأنا أضرب فيتوقاني واحذره الى أن تخلصت منهم وجريت ، ولحقتْ بهم الخيل التي كانت خلفي وتشاغلوا بمساءلتهم عني قليلاً ، ففت الفريقين وحملت الفرس الى

(٣) يعني غربلته والعبارة أيضاً من لغة العامة

الشام فبعته على سيف الدولة بثلاثة آلاف درهم، ورحت في البلاد الى ان صرت إلى بغداد ومعز الدولة يطلب قوماً من العرب ليفرض وينفذهم الى بعث، فحملني المسيب بن رافع العقيلي في جماعة اليه عرضهم عليه فأثبتني، فلما وقفت بين يديه اقتحمتني عينه لأني دميم، فقال: «بيست دينار» فعلمت انه أراد عشرين ديناراً، فكلمه المسيب والمهنا العقيليان، فزادهما ثلاثة دنانير فقالا له رجل له فضل ومنزلة وهو في أهله [1] وفي شجاعته، فقال: لو كان هذا كله فعلنا ما كان يقدر أن يصنع؟ فقلت لبعض النقباء: اي شئ قال؟ ففسره لي، قال فقلت: أيها الأمير! أقدر اصنع: اضع نفسي على فرس بين يدي ملك مثلك، فأحتال في أمره حتى آخذه سائساً ثم أركبه، وقصصت عليه قصته مع فرسه بسنجار وذكر بيعه وثمنه فقال: وأنت صاحب الفرس بسنجار؟ فقلت له نعم، فضحك وقال: نزلوه أربعين ديناراً ففعلوا.

* * *

حدثني ابو الحسين قال: اجتزت بطريق سرمنرأى فدخلت القصر المعروف بالأحمدي لأشاهد آثاره فلما توسطته رأيت مكتوباً على حائط فيه:

في الأحمديّ لمن يأتيه معتبرُ ... لم يبق من حسنه عينٌ ولا أثرُ
غارت كواكبه وانهدّ جانبه ... ومات صاحبه واستقطع الخبر

وأنشدني لنفسه:

رفقاً اقيك بمقلةٍ ... كلفتها طول السهادِ
أصبحت منها في السوا ... د وفي السواد من الفؤاد

(١) لعله أهليته

وأنشدني أبو القاسم الصوري قال انشدني ابو الحسن الموسوي العلوي لنفسه :

يا نازلاً في السواد من مقلتي وفؤادي

* * *

حدثنا ابو الفضل محمد بن عبيد الله قال : أخبرني جماعة من شيوخ الكتاب ببغداد أن القاسم بن عبيد الله كان قد أوجس في نفسه من اختصاص الحسين ابن عمرو النصراني كاتب المكتفي (١) فوضع عليه من يأتيه بأخباره، حتى اظهر لمغنية كان ابن الحسين بن عمرو يتعشقها انه يعشقها (٢) ويملأ عينها، وكان يتسقطها أحاديث الحسين بن عمرو وابنه لكثرة ملازمتها له حتى غلبه عليها، فاضطر ابن الحسين بن عمرو ان يداخل القاسم من أجلها، واجتذبه وصار كالنديم له فملأ عينه بالاحسان وضرّب (٣) بينه وبين ابيه، وكان يأتيه بأخباره، فجاء يوماً فأعلمه انه قد شرع مع المكتفي في الوزارة وضمن القاسم وأسبابه بمال عظيم ذكر مبلغه، وانه قد تقرر الأمر مع الخليفة أن يستوزر ابراهيم بن حمدان الشيرازي كاتب الحسين بن عمرو (وقال ابو الفضل وهو جد ابي القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالمشرف (٤)) على ما كان ينظر فيه المكتفي (٥)، ويلبسه السواد ويخاطب بالوزارة؛ لأنه لم يرغب هو في الاسلام ولم يجز استيزار ذمي، وان تكون الدواوين والأمور كلها اليه ويؤمر الوزير ان يصدر عن امره ولا يصل الا في أيام المواكب والمجالس الحافلة للعرض فقط واقامة الرسم ويلبس السواد والسيف والمنطقة، وان

(١) لعله سقط : به (٢) لعله سقط ما معناه : وجعل (٣) ضرّب بين القوم: اغرى
(٤) علي بن الحسين هذا كثر ذكره في تجارب الأمم (٥) لعله: للمكتفي

فارس – داية المكتفي – هي التي قررت ذلك مع الخليفة ، وانه قد وعدهم ليوم يعينه قريب ذكره ليقبض على القاسم وأسبابه ويسلمون الى الحسين بن عمرو . وشاور القاسم أبا العباس ابن الفرات كيف يصنع ؟ فقال له: عندي ما يكفيك هذا الامر ، قال وما هو ؟ قال كتاب بخط الحسين بن عمرو الذي يعرفه الخليفة الى أبيك ، كتبه اليه من بعض الوجوه التي خرج اليها المكتفي في أيام المعتضد وهو اذ ذاك كاتبه ، يخبر أباك من بخل المكتفي وسقوط نفسه وعيوبه وفواحشه وضعفه ونقصه بكل عظيمة ، ويشير على أبيك ان يُنهي ذلك الى المعتضد وان يشرع في استدعائه الى الحضرة لئلا يفتضح الملك . والوجه لك أن تعمل ثبتاً بجميع أملاكك وما تحويه يدك ودارك وملكك من جميع الأشياء وتصير الى الخليفة وتستخليه ، فاذا خلا طرحت نفسك بين يديه على الارض وبكيت وأخرجت الثبت وسألته أن يقبل جميعه منك عفواً حلالاً ويقرك على خدمته ، او أن يؤمنك على جسمك ونفسك وان لا يسلمك الى الحسين ابن عمرو فانه غير مأمون على [1] ، فاذا سألك عن سبب ذلك اعلمته ان الحسين بن عمرو اظهر السر فبلغك ، واخرجت الكتاب اليه وقلت له يا أمير المؤمنين كيف تأمن على نفسك ودولتك من هذا اعتقاده فيك ؟ فانه اذا قرأه معا قد سمعه منك انحلّ ورجع لك وانقلب على الحسين ابن عمرو ، واذا سألك عن الكتاب عرفته انه كان في خزائن أبيك يحفظه على الحسين بن عمرو لك ويسلمه [2] اليك ، وكان المعتضد يخافه حتى هلك ، وانك أنسيت أمره الى الآن فأظهرته ، واضمن الحسين بن عمرو وابراهيم

(١) لعله سقط (شيء) (٢) لعله ليسلم اليك

الشيرازي وأسبابهما كذا وكذا الوفاً نقدر على استخراجها منهم فان الخليفة يجيبك ، واذا وعدك فعرّفه ان هـذا أمر قد ظهر وفشا وتحدث به الناس وكثرت معه الاراجيف ، وانه ان اخر تسليمهم اليك وقفت الأمور على العمال وطمع فيها كل أحد فأضر ذلك به ووقفت أمور الوزارة وسخفت من تأخير تسليمهم اليك فانه يسلمهم . قال فركب القاسم في الحال الى المكتفي بعمل جميع ماقاله له ابو العباس ، فجرى الأمر على ما ظنه وعاد القاسم وقد أذن له الخليفة في القبض على الحسين بن عمرو واسبابه ، فقبض عليهم واصطفى[1] أموالهم ، فلما احس بنفادها أنفذ الحسين بن عمرو وابراهيم الشيرازي الى الأهواز على سبيل النفي ووكل بهما ، فلما حصلا بالأهواز قتلهما الموكلون ، وقيل انهما جُعلا في بيت وسدّ ومُنع من دخول الماء اليهما والغذاء فلما علم بموتهما فتح الباب ونقلا الى بيت آخر وأظهر أن أجلهما ادركهما . قال فلما خرج القاسم وقد ظفر وتم له التدبير قبل رأس أبي العباس بن الفرات وعينيه وشكره وقال : انت ابي وعضدي وما اشبه ذلك من القول ، فحسده ابن فراس على ذلك وقال للقاسم : أيها الوزير سل ابا العبـاس من أين له هذا الكتاب ؟ فسأله فقال ابو العباس : كنت منذ دهر مجتازاً في بعض الطرقات فرأيت في دكان نطّاف[2] عليه ظهور[3] معلقة ليجعل فيها مايبيعه من الناطف على الناس ، وما رأيت قط شيئاً مكتوباً الا احببت قراءته ، وقد أفدت من ذلك دفعات كثيرة وفوائـد كباراً ، قال فلحظت الظهور

(١) لعله واستصفى (٢) لعله سقطت كلمة (رفاً) او مافي معناها (٣) يراد بالظهور السقط من الأوراق وسميت ظهوراً لأنه كتب على احد وجهيها وتركت ظهورها بيضاً (م)

فوقعت عيني منها على عنوان هذا الكتاب ، فعرفت خط الحسين بن عمرو ، وتتبعتْ نفسي قراءة الكتاب ، فقلت لغلامي : امضِ فاشتر هذا الناطف في ذلك الظهر وأَومأت الى هذا الكتاب ففعل وجاءني به ، فقرأته فوجدت فيه العظائم ، فقلت في نفسي : هذا أشرّ الناس يكتب لرجل ويتخلفه بمثل هذا الكتاب ، فلعله أن يلحقني يوماً شرّ من هذا الرجل فأدفعه بهذا الكتاب او انعي عليه عيوبه ، فمسحت آثار الناطف منه واحتفظت بالكتاب فهو عندي منذ كذا و كذا سنة ، فلما حدثني الوزير الآن بهذا الحديث علمت انه موضع اظهار الكتاب فأظهرته . فلما انصرف ابن الفرات عن المجلس قال ابن فراس للقاسم :— وكان يشنعه [(١)] عنده دائماً فلا يلتفت اليه — قد بان لك مقدار شر ابن الفرات ، هذا شر عليك من الحسين بن عمرو ، لأنه عدو مدغل [(٢)] مندس بين ثيابك ، والحسين كان عدواً مكاشفاً وأنت على اتقائه أقدر ، ما يؤمنك ان يكون ابن الفرات قد تحفظ عليك في مدة استرسالك اليه ماهو اكثر من هذا او قد حصل خطك بألوان فيها الذم وأنت ناس كما فعل بالحسين بن عمرو ؟ وما يؤمنك أن يكون عنده من خطوطك او خطوط أبيك ما يجري هذا المجرى ؟ فان الناس ربما سخطوا على أصحابهم واستؤمنوا [(٣)] الى بيتهم عند نصحائهم ، وانما يترقب منك ابن الفرات إعراضاً او أدنى خلاف عليه في شيء لا يؤثره وتؤثره انت فيظهر للخليفة عنك وعن أبيك ما هو أعظم من هذا فتهلك ، وان أمسكت عنه فأنت ربيبهم [(٤)] في حجره وعنده انه قد ردك الى الوزارة برأيه ويقتطع الدنيا ويفوز بها

(١) بالأصل يشيعه (٢) اي خفي (٣) لعله واسترسلوا (٤) لعله : ربيب يعني انه ينظر اليك كما ينظر الى ربيب

وبفائدتها وتكون التبعة عليك ، وان أوحشته قتلك بمثل هذا الفعل ، فاقبل رأيي وعاجله واحتل عليه بسمّ تدسه اليه وتتخلص منه . قال فوقع ذلك في نفس القاسم وما زال ابن فراس يقوي رأيه الى ان عمل له سمّاً في تفاحة وأشمه اياها فأتلفته وكان هذا الكتاب أشأم كتاب سمع به .

* * *

وحدثني أبو محمد[1] قال حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عمن حدثه انه سمع ابا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سيئ الرأي فيه : ويحك يا أبا جعفر لك قصة في رغيف ما هي ؟ فقال مالي قصة في رغيف ، فلم يزل به ابو الحسن الى ان قال له إن أخبرتني بذلك كان خيراً لك ، قال نعم : إن أمي كانت عجوزاً صالحة وعودتني منذ ولدت أن تجعل تحت مخدتي التي أنام عليها في كل ليلة رغيفاً فيه رطل اذا كان من غد تصدّقت به عني ، وأنا أفعل هذا إلى الآن ، قال فقال ابن الفرات : ما سمعت بأعجب من هذا ، اعلم انني من أسوأ الناس رأيا فيك لأمور اوجبت ذلك ، فعدّد بعضها وأنا منذ أيام مفكر في القبض عليك ومطالبتك بمال ، فأرى منذ ثلاث ليال في منامي كأني قد استدعيتك لأقبض عليك فتحاربني وتمتنع علي ، فأتقدم بمحاربتك فتخرج الى من يحاربك وبيدك رغيف كالترس فتتقي به السهام فلا يصل اليك منها شيء وأشهد الله عز وجل انني قد وهبت لله تعالى ما في نفسي عليك ، وان رأيي لك اجمل رأي من الآن فانبسط . قال فأكب ابو جعفر على يديه ورجليه يقبلهما .

(يتبع)

(1) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٤ والفرج بعد الشدة ١٧٧:١

مخطوطات ومطبوعات

نخب الذخائر في أحوال الجواهر

تأليف محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م

نشرها وعلق عليها الاب انستاس ماري الكرملي

طبع في المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٣٩ ص ١٨٨ من القطم الوسط

أجاد زميلنا في نشر هذا التأليف اللطيف وقد علق عليه حواشي دلت على طول باعه ونفسه في البحث وأتبعه بأحد عشر فهرساً قربت مناله من كل طالب وقد اغتبط بنشره «ليري أهل عصرنا ان الأقدمين منا كانوا واقفين على أسرار هذه اللغة البديعة وان مصطلحات أبناء الالسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا هذا لا تجاريها في ما وضعه الناطقون بالضاد منذ عصر العباسيين الى عهد المؤلف»

وقد قدم له مقدمة بالفرنسية قال فيها ان الكتاب نشر في السنة الحادية عشرة من مجلة المشرق وفي السنة الرابعة من مجلة المقتبس وفاته ان يشير في التعليقات العربية الى ناشر هذا السفر الصغير في المقتبس وناشره العلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله استاذ الاب انستاس فكان يقضي الوفاء لاستاذه وللعلم ان ينوه بالناشر الأول . ان لم يكن ذلك عن نسيان وذهول ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة .

محمد كرد علي

تاريخ ابن الفرات

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات . المجلد التاسع الجزء الأول والثاني
ص ٥٩٢ المجلد الثامن ٢٨٥

حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين

طبع بالمطبعة الاميركانية في بيروت

هذا الكتاب من منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة الاميركية في بيروت والمؤلف مصري من أهل القرن التاسع درس على جماعة من علماء زمانه وتولى عقود الانكحة واشتغل بحوانيت الشهود وعني بالتاريخ وخلف تاريخاً كبيراً في المسودة لم يبيضه ومات سنة سبع وثمانمائة . وكتب يومياته على اصول ذاك العهد

والجزءان الأولان من كتابه يحملان حوادث من سنة ٧٨٩ الى ٧٩٩ وما طبع من المجلد الثامن يضم حوادث (سنة ٦٨٣ — ٦٩٦) كتبها بلغة عامية لا اعراب فيها وفيها ألفاظ عامية قد لا نفهمها ، وكان المؤلف بحكم عمله قريباً من منبع الحوادث وما تعدى كلامه بيئته الا قليلاً ، والحوادث التي أرخ لها تافهة على الاكثر لا يستفيد منها ابن العصر زبدة كبيرة ولكن هناك ولاسيما في الجزء الثالث والذي يليه ارتقت لغة الكتاب وأخذ يزيد على تدوين الحوادث منشورات ومراسيم ورسائل تقفنا على روح العصر ونمط انشائه وتفكيره كما يعرض لنقل شعر بعض المشهورين ممن يتوفون في آخر كل سنة . ولكن منها ما حذفه الناشران واستعاضا عنه بنقط كما فعلا في صفحة ٣٢٢ و ٣٢٣ (المجلد التاسع) فحذفا أشياء من شعر ابن مكانس وكان الأولى اثباتها . فاذا كنا نتحرى بأن لا نغفل نقطة من الأصل حتى لا نخرج عن قانون النشر والأمانة فبالحري ألا نترك أبياتاً لم نر فيها ما يناسب ذوقنا ، ونحن لم نؤلف الكتاب ، نعم كان على الناشرين ان يثبتا نص المؤلف برمته خصوصاً والكتاب يقصد به نفع الخاصة وليس من الكتب المدرسية ، ويوم يؤلف المؤلف المعاصر يختار من كلام الناس ونصوص المؤلفين ما طاب له ورآه ينطبق على أدب العصر . وقد اختار الناشران ان يبدأا بنشر تاريخ ابن الفرات من آخره لأن الأجزاء الأخيرة منه اهم من الأولى وهذه يسقط الباحث فيها على حوادثها في التواريخ السابقة وربما كانت عندهم على صورة اكمل وامتع . وقد جوّد الناشران اخراج هذا الكتاب من مخطوطته الوحيدة وبالغا بالعناية بالتصحيح وشفعا الجزءين الأولين بفهارس منقنة فلهما أوفى الثناء على هذه التحفة التي اتحفا بها التاريخ عامة وتاريخ المماليك خاصة

م . ك

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

للشيخ احمد بن محمد الخالدي عني بنشره الدكتور اسد رستم والاستاذ فؤاد افرام البستاني

طبع بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٦ بعناية مدير المعارف والفنون الجميلة في جمهورية لبنان ص ٢٧٤

الخالدي من الرجال الذين عرفوا من أرخ للامير فخر الدين المعني الثاني معرفة قريبة وكان ممن رافقه في رحلته الطويلة الى ايطاليا فدون من أخباره ما لم يتيسر لغيره ان يعرفه من أخبار مخدومه . وذكر ان صاحب اسبانيا يومئذ عرض عليه ان

بعطيه مملكة أعظم من البلاد التي كان يحكمها ، اي لبنان وما اليه ، على أن ينتحل النصرانية فأبي وان الامير استصحب معه امامه ومؤذنه وأقام مأذنة يدعو فيها الى الصلاة مدة مقامه في البلد الذي حل فيه من أرض ايطاليا وانه حمل معه في تابوت ابنة له كانت قضت نحبها هناك ليدفنها في بلاده الى غير ذلك من الاخبار الطريفة والوقائع المعروفة التي عرف فيها عهد هذا الامير العظيم الذي يحق للبنانيين بل للعرب كافة ان يفاخروا به ويذكروا بالخير عهده على قلة الخير في تلك الادوار الخاملة . وقد بذل الناشران الجهد في مقابلة أصل هذا التاريخ على مخطوطات مهمة فجاء بما وضعا له من الفهارس مثال الجد والكتب المخدومة اجل خدمة فلهما وللحكومة اللبنانية التي أخذت تنشر كل ماله علاقة بحوادث هذا الجيل أطيب الشكر والثناء

م . ك

ابو العلاء المعري

لأحمد تيمور باشا طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م — ص ١٦٠ (قطع الوسط)

هذا كتاب موجز في حياة المعري تناول منه المؤلف نسبه وأخباره وشعره ومعتقده أخذاً من مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة فأبدع وأجاد واتى الباحث في كل صفحة من صفحاته بفوائد يعزُّ الظفر بها على غيره . وكلامه في كتب المعري فقط وتحليلها يعد من الدراسات الشائقة التي لا يضطلع بها كثيرون . وفي باب عقيدة المعري ورأيه في المعاد والنبوات آيات في التحقيق يستفيد منها كل من يحب الصدق في تحليل الرجال وفيها أيضاً درس جميل يتلقاه من اعتادوا أن يلقوا الكلام على عواهنه ويكفروا ويبدعوا ويفسقوا على هواهم ، كأن بأيديهم مفاتح الجنان واليهم مردُّ النجاة والهلاك . وتلمس في كل أبواب الكتاب لطف المؤلف وأدبه مع القدماء مما يقلُّ فيمن يتصدون مثله للتأليف رحمه الله .

م . ك

تراجم اعيان القرن الثالث عشر
وأوائل الرابع عشر

تأليف أحمد تيمور باشا ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م

وهذا موضوع جليل في تاريخ رجال مصر في العهد الأخير ترجم لهم العلامة المؤلف تراجم تبسط في اكثرها ومنهم من عرفه معرفة شخصية ووقف على بيئته ونشأته واعماله ونكاته وملحه ووقائعه السياسية والادبية . ويود من قرأه لو يطول به النظر فيه ولا يأسف الا عندما تقول له الصفحة الأخيرة منه ها قد تم ما كتب المؤلف .

ترجم نخبة من الرجال بحسب رأيه ، والحيدة متجلية في أقواله ، لأنه لا غرض له الا تدوين الحقائق ولو تعلقت الهمم فاختصر مؤلفات المتأخرين في الترجمة للرجال على المثال الذي كتبه احمد تيمور باشا لوقع اختصارها الى العشر وأقل من العشر . فان المؤلفين في هذا الباب خلطوا في القرون الثلاثة الأخيرة خلطاً نسأل الله منه السلامة والعامل في ذلك انهم تهجموا على صناعة ليس لهم فيها يد ولا عرق وسهروا على العلم كما سهر عليه المؤلف العظيم طول حياته فأحيا بذلك الآداب وأتى في كل ما خطه قلمه بالعجب العجاب .

م . ك

كليلة ودمنة

بتحقيق الدكتور طه حسين بك والدكتور عبد الوهاب عزام

مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٤١

ابن المقفع من الادباء الخالدين ، وأجلُّ ما بقي من آثاره كتاب « كليلة ودمنة » . كان منذ اثني عشر قرناً — وما زال — القدوة في الادب وحسن الانشاء . ولا تكاد تجد مثله كتاباً يعطيك من الحكمة العالية ، والادب الرفيع ، ويصور لك الطبائع في جميع مناحيها ، والنفوس ودخائلها وأهواءها ، ويدعو الى مكارم الاخلاق ،

على سبيل القصص الممتع المغري ، المأثور عن لسان الحيوان ، بأيسر أسلوب وأحسن ايراد . حتى اجمع على الرغبة فيه ، والانس بمطالعته ، كل من عرف القراءة ، من الأحداث الى الشيوخ ، وكلما ازداد علم الانسان ازداد اعجاباً به ، وكلما تدبره أكبره . وتلك مزية انفرد بها ، لا يدانيه فيها كتاب من كتب الادب العربي . ولقد شارك العرب في اعجابهم بهذا الكتاب كثير من الأمم المتحضرة ، فنقلوه الى لغاتهم ، فأصبح رسالة عن الادب العربي للأمم كافة .

صدّر الكتاب الدكتور طه حسين بك ، فأثنى عليه بأسلوبه السمح العذب ، ووصفه بـ « التراث الانساني الخالد » لما فيه من « حكمة الهند وجهد الفرس وذوق العرب » ولرغبة الاجيال والشعوب فيه ؛ كما أثنى على المطبعة التي تنوقت في اخراجه .

وقدّم بين يدي الكتاب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قيمة ذات قسمين ، القسم الأول في طبعات الكتاب ، والقسم الثاني في أصوله وتراجمه وابوابه . فذكر « قيمة الكتاب الأدبية ، وعناية المستشرقين به ، وانه ترجم الى كثير من اللغات ، وأحصى طبعاته ، وان اولها طبعة دي سامي في باريس سنة ١٨١٦ ، ثم الطبعات المصرية والشامية ، من عهد محمد علي الى الآن ، وان فيها كلها مواطن لا يطمئن لها الناقد . ووصف النسخة المخطوطة التي حققها وخرّجها وهيأها للطبع ، وانها اقدم النسخ كتبت سنة ٦١٨ وعثر عليها في خزانة اياصوفيا في استانبول . وذكر انها تخالف النسخ المطبوعة من وجوه ، وان لها عليها مزايا ، منها وجود جمل مبسوطة في حين أنها مختصرة في النسخ الأخرى ومنها ان فيها جملاً يظهر فيها الاسلوب الفارسي ومنها ان ما اقتبس في كتب الادب القديمة مثل عيون الاخبار لابن قتيبة من كتاب كليلة ودمنة اقرب الى نصوص تلك النسخة من جميع النسخ المطبوعة ، الى غير ذلك من المزايا التي اوردها على سبيل البسط والتفصيل ، وان اقرب النسخ اليها النسخة التي طبعها الاب لويس شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وذكر في القسم الثاني من المقدمة ان اصل الكتاب هندي ترجم الى الفهلوية ومنها نقله ابن المقفع الى العربية ، وقد عثر على معظم أبوابه في الكتابين الهنديين

« پنج تنترا » و « هتو پادشا » وان هناك ابواباً من وضع الفرس ، وبابين من وضع ابن المقفع وهما « عرض الكتاب » و « باب الفحص عن امر دمنة » مع دراسة لأبواب الكتاب في جميع النسخ المطبوعة ، ومعارضتها بنسخته من حيث الاتفاق والاختلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير » ثم الحق بآخر الكتاب تعليقات ذات بال لكل باب على حدة ذكر فيها ما حققه من الفوائد ، وبدا له من الملحوظات . كل ذلك على سبيل التدقيق والاستقصاء والاتقان .

ولقد جعلت مطبعة المعارف هذه الطبعة تذكاراً لعيدها الذهبي ، وأهدتها الى ملك مصر . فجلتها تحفة انيقة ما جادت المطابع العربية بمثلها من قبل . اذا أخذت نسخة الفيت مجلداً ضخماً متناسب المقاييس ، رسم على ظاهره اسد متوّج . وقد اقعى بجانبي عرشه « كليلة ودمنة » . فاذا قلبت صفحاته رأيت ورقاً فاخراً روعي في لونه وصقاله راحة البصر ، وحرفاً جميلاً يكاد يكون صوراً تتكلم . وقد دار بكل صفحة اطار نبت حوله أغصان خضر متشابكة مسترسلة وسنابل وازهار . أما عناوين الفصول وفواتح الأبواب ؛ فضمن حنايا ومحاريب فيها ضروب من الوشي والنمنمة ، وينتهي كل باب بخاتم يمثل نقوشاً واشكالاً فنية .

وفي الكتاب بضع عشرة صورة تمثل مشاهد من ابواب الكتاب رسمها « رومان ستريكالفسكي » محاكياً الفن الفارسي في الملامح والسمات ؛ والذوق الشرقي في المبالغة في اشباع الألوان والاصباغ . وهكذا اجتمع في هذه الطبعة جميع عناصر الاتقان والاحسان .

خليل مردم بك

جان درك

٣٥٥ صفحة من القطع الوسط

لعل هذا الكتاب من أفيد مااختارته لجنة التأليف والترجمة والنشر من « عيون الأدب الغربي » ولم يكن اختيارها المعرب بأقل توفيقاً من انتقاء الكتاب ، فقد عهدت بتعريبه الى الدكتور احمد زكي بك العالم البليغ الذي نقرأ له الفصل على انه صفحة

أدبية شيقة فاذا أنت قد وعيت — من حيث لا تشعر – مسائل هي في صميم العلم وإذا هو قد احتال عليك وحيرك وجعلك تؤمن بطواعية اللغة العربية ومرونتها وصلاحها لمختلف حاجات العصر .

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب العالمي الذائع الصيت (جورج برناردشو) اكبر أدباء الانكليز . والكتاب مقدمة تحليلية لقصة جاندرك جود فيها (شو) كل التجويد وعرض فيها لجملة من المسائل التي تعاورها المؤرخون والكتاب فبين فيها وجه الصواب . وقارئها يوقن ان المؤلف قد اجتهد ان يكون منصفاً وأن يرد الحق الى نصابه ، فذكر صدقها واخلاصها وقوة ايمانها كما ذكر غطرستها وعنادها ، وقابل بينها وبين سقراط وبينها وبين نابليون ، وزيف ما وقع فيه بعض الروائيين الخياليين وخاصة الانجليز من وصفها بما ينافي الفضيلة او بالجنون ويرى (شو) أنها « امرأة قديرة مكينة خلقت للرياسة والسيادة — ص ٢٦٨ » وحلل مسألة الرؤى التي كانت تتراءى لها تحليلاً لا غاية بعده ورده الى المألوف من عرف الناس . ونقض رأي الكثيرين القائل بأن محاكمتها كانت ظالمة شايعت هوى الانجليز في اتهامها . و (شو) يعتقد ان الحكم عادل بعد ان سرد ملابسات القضية ونقلنا الى زمانها ومكانها ، وأن الجرم ديني لا سياسي ، وهو خلال ذلك يعرض لكثير من المسائل المتعلقة بالكنيسة والاقطاع والمسيحية في العصور الوسطى . والمقدمة كتاب مستقل متقن لا غنى لمثقف عن التروي فيه والاستفادة منه وتبلغ نحو الثلث من صفحات الكتاب وقد اصاب المعرب بتأخيرها عن الرواية .

اما الثلثان الباقيان فهما رواية مسرحية لـ (جان درك) تتألف من ستة مناظر : في قاعة ڤوكولور حيث تطوعت وعرضت على قائد الحامية ان يعينها بجنوده ، ثم في حجرة العرش في شينون ، ثم على اسوار أورلئان وقد آمن الناس بها . والفصل الرابع جعله (شو) في خيمة في معسكر انجليزي حيث يتداولون في امرها ، ويتآمرون للقبض عليها ، اما الخامس ففي كتدرائية « ريمس » حيث توجت شارل بأمر السماء وملأ الناس السكك لرؤيتها والتبرك بها وهنا تبلغ جان القمة في مجدها وتبدأ نهايتها إذ أبى رجال الجيش ورجال البلاط ان يجازفوا بقواتهم وأصرت هي وذهبت بمن

معها من المتطوعين فوقعت في قبضة البروجنديين وهؤلاء أسلموها الى الانجليز • والمنظر السادس وهو أروعها وأمتعها مقصور على محاكمتها وفيه يظهر تناحر شطري المحكمة: الأسقف من جهة وهو يميل الى حملها على التوبة لتنجو من الانجليز وقسوس انجليز أبو الاحكم بزندقتها • وتنتهي المحاكمة بفصلها عن الكنيسة واحراق الانجليز لها • وألحق (شو) بالرواية فصلاً ختامياً هو رؤيا يراها الملك شارل وكأن فيها استئنافاً لأحكام المحكمة والناس على اكثر ابطال الرواية ، وأطرف مافيه ، ان هؤلاء الكبار وفيهم الملك وكلهم ممن اعتقد في هذه الرؤيا قداستها طار صوابهم وانفضوا عنها حين عرفوا عزمها على الرجوع الى الارض • وهنا يهزأ (شو) هزءاً خفياً بليغاً مما جرى الناس عليه من حرب البطل في حياته وتقديسه بعد مماته وهذه هي مناظر الرواية • وان القارئ ليقع خلال ذلك على طرف وفوائد كثيرة بعثرت في الرواية والمقدمة ويقف على رأي «شو» في رجال الكنيسة حينذاك .ثلاً (ص ٣٠) وموقفهم من اليهود في كلام قس: «اليهود الأوغاد الذين يتدخلون كلما انتقل مال من يد الى يد ، ولو كان الامر لي لما ابقيت على احد منهم في بلد من بلاد المسيح — ص ٨٠» كما يرى عبارات نابية انحدرت من عصور الجهالة والتعصب في اوربا تتعلق بالرسول العربي صلى الله عليه وسلم • والى ذلك يرى عرضاً لنظريات في السياسة والدين والاجتماع • وخاصة حين يعرف القارئ سبب غضب الكثلكة والاقطاعية على مبادئ جان التي رأت ان الارض لله والملك خليفة عليها ، وانظر (ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٢٧٠) لترى كيف يشرح لك شو ان «القومية» بالمعنى الحديث تنافي المسيحية وتضربها في صميمها •

ولا يحرمك «شو» التمتع بفكاهته اللاذعة مثل هذا الحوار بين الملك شارل في منامه وأحد سكان جهنم:

شارل — كيف يجد المرء جهنم ؟

الجندي — لن تجد فيها كثيراً مما تكره يا سيدي: جوها مفرح كانك سكران دائماً دون ان تدفع للخمر ثمناً ، وصحبة من ارقى طبقة: أباطرة ، وبابوات وملوك من كل صنف ٠٠ الخ •

لغة الكتاب حلوة سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد ، بل ان المعرب الفاضل — في أغلب الظن — لم يكلف نفسه عناء معاودة ما كتب ولعله عربها في (الترام) معتمداً على طبع قوي وسليقة مواتية عرف بها فلم تخل — على جودتها — من بعض الهفوات التي بعضها « تطبيع » وبعضها مما عمت به البلوى وبعضها من اثر الترجمة واليك اكثر ما يلفت النظر منها :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
١٢٨٤و	غيورة	غيرى أو غيور	٦٢	أعطيت قيادة الجيش الى الفتاة	أعطيت الفتاة قيادة الجيش
و	لحرقي	لاحراقي=(٨٨و٩١ و١٠٣ الخ)			
			٧١	الداوية	المدوية
	سأحي	سأحيا=(٢٧٥و٢٩٩)	٧٣	وهبت الكنيسة شمعدانين	وهبت للكنيسة شمعدانين
٦	فلما يسقط يقع	فحين يسقط يقع = فلما سقط وقع			
			٩١	بشيع	بشع
٨و٣٠	مليئة ، ملئ	ملأى ملآن=(٧٢ و١٤٥و١٩٩و٢٦٠)	٩٢	فصححوني	فصححوا لي
			١٠٢	الما تهدد ٠٠ تقصد	حين تهدد ٠٠ تقصد
١٩	عين الجرح	الجرح عينه	١٢٢	يدفعها اياه	يدفعها له
٢٢	أتحدثنا	أتحدثنا	١٢٦	أعادؤك	أعداؤك
٢٤	واجبك	الواجب عليك=(٨٩ و٩٠و١٣٥و١٣٨ الخ)	١٣٠	١٩٣١	١٤٣١
			١٣١	نفس الباب	الباب نفسه=١٦٥ و٢٤٢و٢٩٣ الخ
٢٨	يمنعهامن الدخول	يمنعها الدخول			
٣٠	رانس	ريس (تعريب)	١٣٥	يا سيداي	يا سيديّ
٣٦	برغم	على رغم=(٦٤، ١١٢ و١٥١)		في غناء عن	في غنى عن
			١٤٥	قد يحدثنا	قد يحدث كل
٤٦	ما تفعلوه	ما تفعلونه	١٩٨	تقلبوها	تقلبونها
٥٦	لتدعوني	لتدعيني (خطاب المؤنثة)	٢١٩	فيزين	فتزيّين

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
٢٢٢	ذي عقول	ذوي عقول	٢٧١	لا تأتلف مع الصور	لا تأتلف هي والصور
٢٢٥	حدث به الى	حدته على ═ ٢٥٩	٢٧٢	١٧٨٠	١٨٧٠
٢٤٦	الطيف التي	الطيف الذي	٢٧٥	حتى وفي	وحتى في
٢٤٧	فكل	ككل		أبرؤها	أبرئها
٢٥٣	الرأس التي	الرأس الذي	٢٩٥	زعمها	زعمها
	صور الاكاديمية ليس	صور الاكاديمية ليست	٢٩٧	وهبه	وهب له
٢٥٨	كف أباها	كف أبيها	٣٠٩	باقرارها نظام كنسي ذو طبقات	باقرارها نظاماً كنسياً ذا طبقات
٢٦٢	غيرهم	غيرهن	٣٢٠	يتأرجح	يترجح
٢٦٤	١٩٢٢	١٨٢٢	٣٢١	استبدلا بنظائر	استبدل بها نظائر
٢٦٥	نابلس	نابولي	٣٤٤	انفهاماً	فهماً
٢٦٨	نضوجها	نضجها	٣٤٦	ساعتين يضيعونها	ساعتين يضيعونها
٢٧٠	صميمها	صميمهما	٣٤٩	أعين الغير	أعين غيرها
	يتنافيان مع	يتنافيان هما و	٣٥١	يدعيه المتنورين	يدعيه المتنورون

* * *

والمجلة تشكر اللجنة الكريمة والاستاذ المعرب على جهودهما المخلصة

سعيد الافغاني

آراء وأنباء

نعت صيغة الجمع

— تمهيد —

نشرت هذه المجلة (ص ٢٣٢ — ١٧) بحثاً لحضرة الاب انستاس الكرملي عنوانه (جمع افعل فعلاء نعتاً فعل بالضم للمذكر والمؤنث) جاء فيها « الترتيبات الغراء والجنات الفيحاء والبساتين الغناء .. هذا لا يجوز » وقال بعدئذ ان التركيب الصحيح ان يقال : (الترتيبات الغر) و (الجنات الفيح) و (البساتين الغن) . فأعاد ماسبق له ان يورده في مقاله « لا تقل كريات بيضاء » الذي نشرته له هذه المجلة (ص ٤٢١ — ١٣)

والفرق في المقالين هذين ان شاهده الجديد من كتاب سيبويه واما شاهده القديم فمن كامل المبرد وهو هو بعينه ويستنتج من ذلك انه اطلع على كتاب سيبويه في هذا العهد الأخير واقرار المرء شاهد عليه . وقد سبق لي اني نقضت حكمه الوارد ذكره آنفاً في كتابيّ (المحجة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء) و (الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي) . فكان لزاماً على الاب انستاس ان يفند شواهدي قبل أن يعمد الى دعم شاهده . والآن اعود الى مناقشته فأقول

١ً — تعيين موضع الخلاف

لا جدال الا وله موضع خلاف . وتعيين موضع الخلاف أمر لابدّ منه . وموضع الخلاف بيننا هو : أيقال كريات بيضاء او لا ؟ فالاب ينفي وانا أثبت . ولا خلاف بيننا على ماهي صيغة جمع افعل فعلاء مثل ابيض بيضاء او افعل ولا فعلاء لها كأمرد . أو فعلاء ولا افعل لها كضهياء . فالشاهد الذي اتى به الاب من الكامل اولاً ومن الكتاب ثانياً لا سبيل الى المجيء به في جدالنا . فان كان الاب لا يعلم ذلك فهو يجهل موضع الخلاف فكيف يجادل في مالا يعلم . وان كان يعلم موضع الخلاف ويتجاهله فنعم العالم المنصف هو ! . ان الخلاف واقع على نعت صيغة الجمع فأنا اقول انها

تأتي بكل صفة تضمنت ضمير المؤنث المفرد وهو يقول ان صيغة الجمع تنعت بصفة تتضمن ضمير المؤنث المفرد وضمير المؤنث الجمع ولا يجوز غير ذلك . فما ذهب اليه مردود بالقياس وبالسماع معاً فالقياس والسماع في هذا الردّ سواء

٢ً — الجموع مؤنثة

ولما كان الخلاف على صيغ الجموع وأي صيغة نعت تحق لها كان لزاماً الكلام على الجموع وتعيين موضعها من الافراد والتثنية والجمع فأقول ان الجموع تعدُّ مؤنثة فيعاد اليها الضمير الذي هو للمفرد المؤنث والضمير الذي هو للجمع المؤنث وشواهد هذين الضميرين ضمناً في اقوال المتنبي التي أورد منها ما يأتي

١ — (وأشارت بما أبيتَ رجال كنتَ اهدى منها الى الارشاد)

فالضمير في منها للمفردة المؤنثة عاد الى رجال جمع رجل للمذكر العاقل

٢ — (تظنُّ فراخ الفتخ انك زرتها بأمّاتها وهي العتاق الصلادمُ)

ففي كلامه وهي مبتدا والعتاق صيغة جمع خبر والخبر يطابق المبتدا في الإفراد والتثنية والجمع ومرجع هي الى أمّات وهي صيغة جمع

٣ — (كذلك اخلاق النساء وربما يضلّ بها الهادي ويخفى بها الرشدُ)

فضمير بها راجع اما الى النساء واما الى اخلاق . واخلاق جمع خلق ونساء اما جمع نسوة بفتح الاول كسخلة وسخال وطلحة وطلاح واما اسم جمع كشرطة . فنساء موضع خلاف فهل للاب انستاس او لعضو من أعضاء المجمع الكريم الجلاء عن حقيقة نساء . وعلى الوجهين كليهما اقول ان الضمير الذي هو للمفردة المؤنثة عائد الى جمع او الى ماله مقام الجمع

٤ً — (بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبأته بين انيابها الأسد)

فقد اعاد ضمير انيابها وهو للمفردة المؤنثة الى الاسد جمع اسد

٥ً — (حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا مِسنَ في اجسامهن النواعم)

فالحسان أعاد اليهن ضمير الجمع الذي في أجسادهن لأنهنّ من العاقلات ولو قال ماست وأجسادها لجاز .

٦ً – (لكِ يا منازل في القلوب منازلُ أقفرتِ أنتِ وهنّ منك أواهلُ)

فخاطب المنازل بأنتِ وهي ضمير للمفردة المؤنثة واعادهنّ الى المنازل وهنّ للجمع المؤنث فمنازل قبلت الضميرين

فهذه الشواهد كافية لاثبات ان صيغة الجمع يعود اليها ضمير المفردة المؤنثة وضمير الجمع المؤنث مالم يكن الجمع لما هو خاص بالعاقل كالملوك والملائكة فنقول الملوك حكموا والملوك حكمت ومنه قول المتنبي

(تظلُّ ملوك الارض خاضعة لهُ تفارقه هلكى وتلقــاهُ سجدا)

فخاضعة فيها ضمير المؤنث المفرد او التاء للجمع وتفارقه فيها ضمير المؤنثة المفردة ولا تقول الملوك حكمنَ او امرنَ

هذا ما يثبتهُ المسموع من كلام العرب واما النصُّ الصريح فأوردهُ صاحب المصباح في ذيل معجمه وهو هذا

(قال ابو اسحاق الزجاج ، كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً او مؤنثاً كالابل (هذهِ اسم جمع) والأرحل والبغال فانه مؤنث . وكل جمع للتكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتأنيثه مثل الرجال والملوك والقضاة) وكلام هذا الامام طويل لا يتسع له المقام هنا فراجعه في موضعه . اذن البساتين والميازين او الموازين والمنازل والسماحيق (جمع سمحاق) يعود اليها الضمير مفرداً وجمعاً لذلك قال طرفة (ديوانه طبع بيروت)

(ويوم رأينا الغيم فيــه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجفُ)

وقوله وهي حمراء أعاد الضمير (هي) الى سماحيق فيقال سماحيق ترب حمراء اذا أسقط الناثر وهي كما يسقط هو في مثل هذا القول : ففي شعر المتنبي

فأقبل من أصحابه وهو مرسل وعاد الى أصحابه وهو عاذلُ

[فيقول اقبل مرسلاً وعاد عاذلاً] ويكون بناء سماحيق الذي هو صيغة جمع كبساتين جاء الحال منه على فعلاء وهذا احد شواهدي على نعت صيغة الجمع بفعلاء

٣ – الضمير العائد من النعت الى المنعوت

قالت النحاة ان الضمير العائد من النعت الى المنعوت يجب ان يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع فلا يعود ضمير المفرد المذكر من نعتٍ الى منعوت هو صيغة جمع فان عاد كان ذلك الجمع على تأويلٍ بمفردٍ ومن ذلك قول زهير

فأصبح يهدى فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفالٍ مزنمِ

فان افالاً جمع أفيل كصغار جمع صغير وجاء نعتها بزنم الحامل الضمير الذي هو المفرد المذكر وذلك على تأويل الافال بالمفرد

٤ً — بماذا تنعت صيغ الجموع

شأن صيغ الجموع في قبولها النعت شأن الابنية المفردة . والمفرد يأتي نعته جملة اسمية وجملة فعلية وبناءً مفرداً بشرط ان يكون الضمير العائد من النعت الى المنعوت يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع .

فلنا ان نقول : عندنا دروع نسجتها التبابعة والتبابعة نسجتها وينير بريقها الظلام او وبريقها ينير الظلام فكل تعبير من هذه التعابير صحيح . والضمير العائد من هذه الجمل هو ضمير المفردة المؤنثة . وفي الغناء من البساتين الغناء ذلك الضمير عينه فاذا صحّ ان يجيئ الضمير الذي تتحمله صفة النعت التي هي جملة « هي » صحّ ان يتحمل البناء المفرد ذلك الضمير أيضاً وان لم يصحّ ان تكون « هي » رابطة للبناء المفرد الوارد نعتاً بالمنعوت الذي هو صيغة الجمع فلا تصح ان تكون هي رابطة للجملة بالمنعوت الذي هو صيغة جمع .

ولا يجهل ذو مسكة في النحو ان المفرد اصل في الحال وان الجملة اتت عوضاً عنه وان الجملة تؤول بالمفرد لتأخذ محله في الاعراب فكيف يكون الفرع اقوى من الأصل فيقال دروع نسجتهن التبابعة ونسجتها التبابعة ولا يقال بساتين غناء وبساتين غنّ بل يقال بساتين غنّ ولا يجوز غير ذلك . وقد قال المتنبي

لكِ يا منازل في القلوب منازل اقفرتِ انتِ وهنّ منك أواهل

فقال أقفرتِ والضمير عائد الى منازل وقال هن والضمير عائد الى منازل ولو صحّ قوله ان الضمير الذي يعود الى بساتين يجب ان يكون هنّ ولا يصح هي لسقط

كثير من كلام العرب . وكل ما يعارض كلام العرب ساقط لا صحة له فحكم الأب أنستاس باطل

٥ً — حينما يتحمل نعت صيغة الجمع ضميراً يطابق المنعوت في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع يكون مقبولاً ولا عبرة في صيغته اكان ذلك النعت جملة او مفرداً وسواء كان هذا المفرد من ابنية الجموع او من ابنية الافراد .

تقدم القول ان صيغة الجمع معدودة من المفردات المؤنثة فتنعت بالجملة الحاملة ضمير المفردة المؤنثة وبكل مفرد مؤنث يتحمل ذلك الضمير فمن ذلك نعت الدروع بالمحصفة والمحصدة والمنازل بالاولى والاخرى قال المتنبي :

(هذي منازلك الاخرى نهنئها فمن يمرّ على الاولى يسليهـا)

فنعت المنازل بالأخرى وبالأولى وأعاد اليها ضمير المفرد المؤنثة في نهنئها ونسليها والاولى والاخرى قال صاحب المصباح انهما مفردتان وهذا بيانه عنهما « اذا تقرر ان الاول بمعنى الواحد فالمؤنثة هي الاولى » ثم قال « وتقدم ان الآخر بمعنى الواحد فان الاخرى بمعنى الواحدة » والذي اجاز نعت المنازل بالاولى والاخرى تحملها الضمير الذي هو « هي » وبحسب قاعدة الكرملي لا يجوز نعت المنازل بالاخرى ولا بالاولى وان يقال نهنئهن لا نهنئها والأُول او الأوائل لا الأولى

٦ً — التاء الواردة في الدروع المحصدة والتاء الواردة في الدرع المحصدة :

الدرع مؤنثة وتذكر يقال درع ذائل ودرع ذائلة . ودرع حصداء ودرع محصدة . وجاءت صفة الدروع على محصدة فيقال دروع محصدة

فاسأل الاب انستاس عن تاء دروع محصدة اهي تاء درع (الواحدة) محصدة أو تاء أخرى

ان قال هي هي فتاء درع محصدة للافراد وتاء دروع محصدة أيضاً للافراد أي ان القائل انزل الجميع منزلة المفرد كما تقدم الشاهد في انزال إفال منزلة المفرد وحينئذٍ لامانع من ان يقال « دروع حصداء » لأن الجمع اعتبر مفرداً فأعطي ما يعطى المفرد ومتى صح دروع حصداء صحّ بساتين غناء

وان قال تاء دروع محصدة للجمع وتاء درع محصدة للافراد فالصورة واحدة ولكل منهما معنىً مستقل — ان قال ذلك قلت : الرماح السمهرية في قول المتنبي

وخلّى الرماح السمهرية صاغراً لأدرب منه في الطعانِ وأحذقِ

من باب نعت الجمع بجمع فالسمهرية في قولهِ

وبساتينك الجياد وما تحـ ـمل من سمهرية سمراء

هي صيغة جمع وجاء نعتها على فعلاء . فسواء كانت التاء للمفرد او للجمع جاء نعتها على صيغة فعلاء اذن يقال دروع حصداء

٧ — السماع يؤيد القياس في هذا الشأن

هذه الأدلة كلها من باب القياس . والسماع يؤيد القياس في هذا الشأن . فمن السماع قول طرفة المتقدم آنفاً

« ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجفُ»

ومن ذلك قول الفند الزماني معاصر المهلهل التغلبي

بقيت بعده الجليـلة تبكي والخدود العيطاء تدعو الحاحا

هكذا جاء في روضة الادب (ص ١٨٥) وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣)

وورد في كتب النحاة كشروح ألفية ابن مالك وفي المعاجم كالقاموس والتاج جـاؤوا الجماء الغفير أي يقال جاء العلماء الجماء الغفير فالجماء حال من العلماء والعلماء يعود اليهم ضمير المفردة المؤنثة تقول العلماء قررت كما تقول العلماء قرروا فجاءت الحال من علماء على زنة فعلاء واحكام الحال وأحكام النعت واحدة

وفي شرح الزوزني القاضي قول الحارث اليشكري « وله فارسية خضراء» يقول : « وله دروع فارسية خضراء » فدروع منعوت وفارسية اما نعت اول واما عطف بيان وخضراء نعت دروع اما نعت ثان واما نعت اول

فهذه اربعة شواهد تؤيد ان فعلاء تأتي نعتاً لصيغة لاخلاف في انها صيغة جمع . هذا المقصود من هذا المقال

ادمون ظاهر خير الله

نُتَف من مناهل الادب

استأهل — تستعمل بمعنى استوجب واستحق وقد انكر هذا الاستعمال المازني والجوهري واقرّه صاحب القاموس وغيره قال الزمخشري في الأساس: هو مستأهل لكذا: سمعتُ اهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعًا) وقال الأزهري: (خطأ بعضهم من يقوله واما انا فلا انكره ولا اخطىء من قاله: لأني سمعت أعرابيًا فصيحًا من بني اسد يقول لرجل شكر عنده يدا «تستأهل يا ابا حازم ما اوليت» قالها بمحضر جماعة من الأعراب فما انكروها عليه اه قول الازهري

* * *

لما خرج المأمون الى الشام جعل يطوف على قصور بني أمية و يتتبع آثارهم فدخل صحنًا من صحونهم. فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كله. وفيه بركة ماء. يدخلها و يخرج من عين تصب اليها. وفي البركة سمك. و بين يديها بستان. على اربعة زوايا اربع سروات. كأنها قصت بمقراض من التفافها. احسن ما ترى العين من السروات قط قدًّا وقدرًا. فاستحسن المأمون ما رأى. وأعجب به.

* * *

جاء في التاج في تفسير كلمة الخَرُوط انه الذي يتخرط في الامور جهلاً ومعنى يتخرّط يركب رأسه فيها من غير علم ولا معرفة: فتراه يتهوّر في كل مايريد كالفرس الخَرُوط الذي يمضي على وجهه شاردًا. ومنه حديث علي رضي الله عنه انه اتاه قوم برجل وشكوه قائلين: ان هذا الرجل يؤمنا في صلاتنا ونحن له كارهون. فقال له علي «انك لخَرُوط!! اتؤم قومًا وهم لك كارهون ؟!» انتهى كلام التاج فليحذر اذن من يتولى امرًا من امور الناس وهم كارهون له غير راضين عن ولايته. والا حقت عليه كلمة سيدنا علي وصح اطلاق وصف الخروط عليه

* * *

فرْنسة المرأة حسن تدبيرها لامور بيتها وهي مفرنسة. قالوا والنون في فرْنسة زائدة: يريدون ان الكلمة عربية وانها مشتقة من الفراسة والفروسة ومعناها الحذق بأمر الخيل. ولما زادوا النون خصّ المعنى بالحذق في ادارة المنزل. ومن الوهم أن نقول أن النون في الفرْنسة أصلية بناء على اشتقاقها من كلمة (فرنسا) لكن اتفق ان تكون المرأة الفرنسية مفرنسة اي مشهورة بالحذق في تدبير شؤون بيتها وقد فسر معجم الفرائد الدرية الفرنسة العربية بقوله: Bonne administration Menagère de la femme

* * *

اسرت قبيلة مزينة ثابتًا وهو ابو حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ولما اراد ان يفدي نفسه ابوا الا ان يأخذوا فديته تيسًا. يريدون امتهانه. وانف هو من ذلك. ولما طال الامر وضاق صدر ثابت ارسل الى قومه الخزرج «افدوا اخاكم بأخيهم»!! فأرسلوا اليه تيسًا. فسيدنا حسان اذن جرى على عرق في صنعة الشعر

* * *

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ولكل اجل كتاب مانصه الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم اه والمعنى ان الشرائع المتعلقة بمصالح البشر تختلف باختلاف الاعصار ولا جرم ان الاعصار غير ثابتة. فكذلك الشرائع المتعلقة بالمصالح يتحتم ان تكون متغيرة غير ثابتة. وهذا معنى ماورد في الاثر تحدثون ويُحدَث لكم

(المغربي)

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد السابع عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء